من اعلام الفكر والادب في فلسطين

أكرم زعيتر

بقلم البدوي الملثم

* * *

عندما يطل وجه أكرم زعيتر في سلسلة « اعلام الفكر والادب في فلسطين » أتهيب الحديث عن هذه الشخصية المحببة ، خشية ان اظلمها .. ولا أفيها حقها .. ففي شخصية « أكرم » تجمعت طائفة من الصفات والخصائص ، ناهيك عن جهاد عنيف متواصل في حقل القضية الفلسطينية ، أفضى به عشرات المرات ، الى عشرات المعتقلات والسجون، وحمله على أجنحة التشرد في مجاهل الاناضول وفي متاهات سورية والعراق !

ورغم شعوري بان قلمي ناد عن بلوغ الهدف .. عاجز عن ابراز الصورة اطارا ومضمونا .. أنضو بزة التهيب .. واخوض اللجة ... لعل شباكي تخرج صيدا ثمينا سمينا .. عن « أكرم » صاحب المدرسة العريقة بالنضال العنيف !

ولد « أكرم » في مدينة نابلس بفلسطين عام ١٩٠٩ وأكمل دراسته الثانوية في « كلية النجاح » بمسقط رأسه ، ثم انتسب الى الجامعة الاميركية ببيروت فكلية الحقوق بالقدس وقد تخرج فيها ، وهو يحمل دبلوم المعلمين العليا وقد زاول التعليم في ثانويات فلسطين وعرف في أثناء ذلك بما كان يلقنه الطلاب من مباديء وطنية .

وعلى اثر ثورة عام ١٩٢٩ التي تأججت نارها في فلسطين وحملة المندوب السامي البريطاني على العرب الثائرين استقال « أكرم » من التدريس في ثانوية عكا ليتفرغ للعمل في الحقل الوطني فتولى رئاسة تحرير جريدة « مرآة الشرق » المقدسية لصاحبها المرحوم بولس شحاده . وبعد ثلاثة شهور من عمله الصحفي قبض عليه واودع السجن ثم جرت محاكمته امام حاكم لواء القدس مستر كيث روش حيث حكم عليه بالسجن ثم الابعاد مدة سنة الى نابلس أجج في أثنائها الروح الوطنية وقاد المظاهرات ولا سيما يوم اعدام الشهداء الثلاثة فؤاد حجازي ، ومحمد جمجوم وعطا الزير ، حتى اذا انتهت مدة الابعاد عاد الى القدس ليتولى تحرير جريدة « الحياة » المقدسية التي اشتهرت بالمقالات اللاهبة من قلم « أكرم » فالتف حولها الشباب الواعي وكانت « الحياة » المحرك لاحداث عام ١٩٣١ وللمظاهرات التي قامت ضد تسلح اليهود ، الامر الذي أدى الى القبض عليه وزجه في السجن ثم محاكمته امام حاكم لواء القدس مستر سلومون الذي قضى بأغلاق « الحياة » وابعاد « اكرم » الى نابلس وتقييده بقانون منع الجرائم ، وقد اشتهرت تلك المحاكمة بمن رافع فيها من أقطاب المحامين في فلسطين ، وأطرف ما فيها ان شهود النيابة شهدوا ضد « أكرم » من (وراء ستار) !

وعاد « اكرم » الى نابلس ليقود الحركة الوطنية وليتولى التدريس في « كلية النجاح » وتولى ونخبة من اخوانه الاحرار تاليف « جمعية العناية بالمساجين العرب » وكان يشترط في مؤهلات العضو فيها ان يكون ممن دخل السجن بتهمة وطنية . ولقد تولت هذه الجمعية الاهتمام بشؤون المعتقلين السياسيين من أحرار اضطرابات عامي ١٩٢٩ و١٩٣١ وغيرهم . وكان الاستاذ زعيتر يرسل من نابلس صيحاته المتوالية على صفحات « الدفاع » (١) و « الجامعة الاسلامية » (٢) و « الجامعة العربية » (٣) و « الصراط المستقيم » (٤) .

ونضجت فكرة قيام حزب استقلالي في فلسطين ينادي بمقارعة الانتداب البريطاني ويهز المشاعر الوطنية ويوجه المقاومة العربية توجيها صحيحا بعيدا عن العصبية العائلية فكان « أكرم » أحد مؤسسيه وكان من أقطابه : عزة دروزه وعوني عبد الهادي وصبحي الخضراء ورشيد الحاج ابراهيم والدكتور سليم سلامه وفهمي العبوشي وحمدي الحسيني وحربي الايوبي وعجاج نويهض .

واشترك « أكرم » في تأسيس « عصبة العمل القومي » في سورية وكان نائبا لرئيس مؤتمرها التاسيسي في قرنايل بلبنان عام ١٩٣٣ .

وعندما توفي المغفور له الملك فيصل الاول في برن بسويسرا أوفد حزب الاستقلال « اكرم » ليمثله في رثاء الملك العظيم في بغداد عام ١٩٣٣ ، وهناك استبقاه المرحوم يس الهاشمي للعمل في معاهد العراق موجها قوميا . وفي العراق عمل اكرم واخوانه على تأسيس « نادي المثنى » و « الجوال القومي » وراح يبث الروح القومية ، وانبرى الشعوبيون يشنون عليه وعلى اخوانه أمثال : المرحوم درويش المقدادي وفريد زين الدين والدكتور امين رويحه حملات عنيفة لكنهم صمدوا لها وانشأوا جيلا مؤمنا بالفكرة العربية . وما لبث اكرم بعد هذا الجهاد القومي ان تلقى برقيات وكتبا من اخوانه العاملين في الحقل الوطني بفلسطين يطالبونه بالعودة الى الارض الملتهبة ، فعاد على عجل وعاد الى حزب الاستقلال نشاطه ، وشرع في عقد الاجتماعات الشعبية في جميع انحاء فلسطين داعيا للمقاومة ولمجابهة الانتداب البريطاني بالعدوان ، وحدث ان حضر السير أرثور واكهوب المندوب السامي البريطاني في فلسطين حفلة أقامها الصهيونيون في لندن على شرفه ، وهناك شرب نخب الصهيونية ، فعقد في نابلس في ٢ نوفمبر اجتماع كبير تقرر فيه اعلان الاضراب العام فور وصول المندوب السامي من لندن ، وكان الشيخ عز الدين القسام ممن حضروا ذلك الاجتماع . وحدث ان اجتمعت لجنة الاحزاب ولم يكن حزب الاستقلال ممثلا فيها ، فاصدرت بيانا دعت فيه الى عدم الاضراب ، ولكن حدث ان ضربت الامة بنداء لجنة الاحزاب عرض الحائط ، وفي اليوم الموعود أضربت اضرابا شاملا كان نذيرا بقوة المد الثوري في الحركة الوطنية ، وقبض على « أكرم » وأجري معه تحقيق عن ذلك الاضراب واسبابه ثم اطلق سراحه بعد حين .

وفي عام ١٩٣٥ قامت حركة الشهيد الشيخ عز الدين القسام ، فاستشهد في قتال عنيف مع الجيش البريطاني في حراج يعبد (قضاء جنين) وهنا دعا اكرم زعماء البلاد في بيان اصدره للسير في جنازته في حيفا وتشييعه كما يشيع المجاهد العظيم ، ورد على السلطة البريطانية في زعمها ان عصابة القسام عصابة اشقياء باعلانه انها عصابة شهداء أبرار ، وأتقياء أنقياء أطهار .

وفي الجنازة التي حمل فيها جثمان القسام وصحبه على الاكف ، اصطدم المشيعون بالقوات البريطانية التي ولت الادبار وجاءت حركة الشهيد القسام ارهاصا لثورة عام ١٩٣٦ .

وفي صيف هذا العام ، وعلى اثر اصطدام وقع بين عصابة وطنية وقوات الامن دعا اكرم الى تاليف لجان قومية ، وكانت لجنة نابلس اولى هذه اللجان وتولى امانة سرها ، وتولت بدورها الاتصال بأحرار فلسطين ودعت الى الاضراب (٥) العام الهائل الذي امتد ستة شهور وكان الممهد والمسبب لثورة عام ١٩٣٦ ، وفي أثنائه تالفت « اللجنة العربية العليا » وتقرر العصيان المدني ، كما قررت اللجنة القومية بنابلس الخروج على قرار منع التجول ودعت الى حمل السلاح والى الانتقال من مرحلة الاضراب السلبي الى مرحلة القتال ، وفي تلك الليلة ألقت السلطات القبض على اكرم بأمر اصدره حاكم لواء نابلس مستر فوت و (السير فوت فيما بعد وحاكم جزيرة قبرص فيما بعد) واللورد كارادون اخيرا ، وارسل فى تلك الليلة الى عوجا الحفير ،

فكان اول معتقل في ثورة ١٩٣٦ ، ثم نقل الى صرفند وجدد الحاكم مستر فوت مدة اعتقاله ، وبعد ستة اشهر كان آخر من خرج من صرفند ، ولقب على سبيل الدعابة ب « فاتح الحفير ومغلق صرفند ».

وبعد فترة من الافراج عنه تقرر اعتقاله ثانية لكنه توارى عن الانظار ثم لجأ الى دمشق حيث حضر مؤتمر بلودان ، وقد فتش بيته بنابلس ابان غيابه وصدرت مذكرة بالقبض عليه ، لكنه انصرف الى الاشتراك مع اخوانه في سورية في تغذية الثورة الفلسطينية والدفاع عن اهدافها ، وتولى امر الدعوة والنشر لها ، وفي هذه الاثناء التحق اخوانه السادة واصف كمال وممدوح السخن وفريد يعيش بالثورة ، وعمل كل منهم في منطقته مستشارا لقائدها ، وكان ذلك حتى مطلع الحرب العالمية الثانية حين اتفقت كل من بريطانيا وفرنسا على مطاردة الثوار واخراج اللاجئين السياسيين من سورية ، فتلقى أكرم برقية من الدكتور سامي شوكة وزير معارف العراق يدعوه فيها « الى حرث بذور القومية في الناشئة العراقية » فلبى الدعوة وعمل مفتشا للمعارف واستاذا في دار المعلمين العليا ومسؤولا عن التوجيه القومي في وزارة المعارف الى ان نشبت ثورة رشيد عالي الكيلاني (٦) عام ١٩٤١ فاشترك في أوج نشاطها ، وحين اخفقت وغادر الكيلاني بغداد لجأ اكرم وصحبه الى بادية الشام واختفوا مدة فيها ثم لجأوا الى حلب . ولما هددهما الجيش الديغولي بالاحتلال لجأ الى تركيا حيث قضى سني الحرب لاجئا سياسيا في الاناضول بحيث فرضت عليه الاقامة الجبرية في استانبول ثم في افيونقره حصار فمغنيسيا فبورصة .

وبعد ان اعلن استقلال سورية عام ١٩٤٥ عاد الى سورية فكان موضع المشورة من زعيمها ورئيس جمهوريتها الاسبق المرحوم شكري القوتلي ، وقد مثل سورية في كثير من الاعمال القومية وكان مستشارا لوفدها لدى جامعة الدول العربية وعضوا في لجنة فلسطين الدائمة في الجامعة العربية ، كما اشترك في دمشق في تنظيم الشهادات امام اللجنة الانكلو اميركية ، وكان للشهادة التي ادلى بها دوي عظيم .

وفي عام ١٩٤٧ ترأس وفدا عربيا الى اميركا اللاتينية لشرح قضية فلسطين والدفاع عنها فطاف على سائر جمهورياتها واتصل بساستها والف كتابا في وصف رحلته هذه أسماه « مهمة في قارة » .

وظل اكرم مشردا عن بلاده ولم يسمح له بالعودة الا في سنة ١٩٥١ وبعد زوال الانتداب البريطاني ، وهكذا امتدت هجرته وغيابه عن وطنه الغالي مدة ١٤ عاما .

وخلال وجوده في بلاده وغيابه عنها وعودته اليها اشترك في معظم المؤتمرات الوطنية والاسلامية المنعقدة في الشرق العربي ثم تولى امانة سر الندوة الاسلامية في دوراتها الثلاث المنعقدة في بيت المقدس (١٩٥٩ – ١٩٦٢) ثم مثل الاردن في الدورة السادسة عشرة للامم المتحدة ودافع عن فلسطين في لجنتها السياسية لعام ١٩٦٢ .

وفي عام ١٩٦٣ عين سفيرا للاردن في سورية حيث مكث قرابة سنة ثم سفيرا للاردن في طهران بايران وكابل بافغانستان وهناك قام ببحوث تاريخيـة .

وفي طهران برز كدبلوماسي من طراز رفيع ، وحين عين وزيرا للخارجية الاردنية عام ١٩٦٦ جرى له وداع حافل على الصعيدين الرسمي والشعبي . وخلال عمله كوزير للخارجية الاردنية قرابة سنة مثل في اثنائها الاردن في الامم المتحدة وفي اجتماعات الجامعة العربية وكان له دور مرموق في معالجة الخلافات العربية ، وفي عام ١٩٦٧ عين « عينا » في مجلس الاعيان الاردني ، وفي ١٥ – ٦ – ١٩٦٧ عين وزيرا للبلاط الهاشمي .

واللحن الذي يستسيغه اكرم ويكرره في سمفونيته القومية هو إسترداد الوطن المغصوب واشاعة الوعي القومي في أذهان الجيل الصاعد وتلقين هذا الجيل ان استقلال الاقطار العربية ضالة كل مؤمن بعروبته . وفي ذلك يقول :



البـدوي الملثـم

●

« وان رسالتنا في وحدة العرب ومعركة الثار لن يسلبها واقعنا المرير الفاجع روعة خيالها وفتنة جمالها ولا بشائر المقبل المرجو من كفاحها ونضالها . وستنعم هذه الرسالة من سرائرنا بما ينديها ويعطرها ، ومن دمائنا بما ينورها وينضرها ، وسترف على هذه الجذوة من الالم نفحة الايمان بالله وبالعروبة وبالمستقبل » .

تأثر اكرم في أدبه وبيانه بالقرآن الكريم وبنهج البلاغة كما تتلمذ على الجاحظ وابن المقفع وابي حيان التوحيدي وابن حزم وعلى شقيقه عادل زعيتر ومحمد اسعاف النشاشيبي والامير شكيب أرسلان وخليل السكاكيني .

و « اكرم » خطيب موهوب اشتهر بالارتجال الموفق وعرفته منابر دمشق والقدس وعمان وبيروت وبغداد والقاهرة والاندية والجمعيات العربية في جمهوريات اميركا اللاتينية ، كما عرفته الصحافة العربية في بيت المقدس ودمشق وبيروت وبغداد كاتبا كبيرا ، وحسبنا ان ننقل بعض ما قال نفر من أئمة البيان العربي في اسلوبه البليغ وموهبته الخطابية .

وصفه الشاعر الكبير الاستاذ جورج صيدح بقوله :

« شهدت مواقف أكرم الخطابية فعرفت فيه خطيبا مصقعا فصيح اللسان ، بليغ البيان ، لا ينضب معينه مهما تكاثر عليه الوراد ، ولا يخطيء سهمه مهما تباعد المرمى ! » .

وقال فيه الاديب المهجري الاستاذ نظير زيتون :

« ما ذكرت موقف الخطيب الروماني شيشرون امام قرطاجة عاصمة فينيقية الافريقية الا تبادر الى ذهني موقف اكرم زعيتر ، بينهما تشابه في الصلابة والتحذير من الاخطار ، وتقارب في الدعوة الى الاستنفار ، والتجانس في بث العقائد والافكار .

وأكرم زعيتر مرهف الحس ، عميق الحدس ، نقوم الجرس ، يتراوح البيان بين اصفريه ، ويلتمع الايمان في عينيه ، ويتهاوى الباطل بين يديه ! » .

اما اسلوبه في الكتابة فقد وصفه الشاعر النازح الاستاذ جورج صيدح بقوله : « ان قلم اكرم زعيتر لمن اقوى الاقلام العربية ، واسلوبه سخي في المعنى ، مقل في المبنى ، يفصل الكلام على قياس الفكر ، ويلبس المعنى أضيق الاثواب حتى لا تستطيع اطرافه ان تمتد على بحبوحة اللفظ » .

ووصفه الناقد الشهير مارون عبود بقوله : « اكرم زعيتر كاتب متمكن من لغته ، واسلوبه أنصع من الفضة الخالية من الزغل ! » .

اما الاستاذ سعيد عقل فيقول : « من الاقلام ما هو افعل من

السيوف ، واكرم زعيتر واحد منها ، وان كتاب (٧) أكرم زعيتر يمكنه ان يكون أحد الارغفة في زاد الابطال ! » .

وقال له الاديب الكبير الاستاذ نظير زيتون : « لك من البيان سحره ، ومن الحرف فجره ، ومن المعنى دره ، ومن الفكر بحره ، ومن الادب صدره ! » .

وبين أكرم وكثيرين من أئمة الادب العربي مراسلات ، ويوم يتاح النشر للرسائل التي كان يكتبها وتلك التي كان يتلقاها من أمثال الامير شكيب ارسلان ومحمد اسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وبدوي الجبل وشفيق المعلوف والشاعر القروي ونظير زيتون وجورج صيدح وعادل الغضبان ووديع فلسطين ومحمد عبد الغني حسن وظافر القاسمي وغيرهم فان أدب الرسائل سيظفر بكنوز من البيان الرائع ! ودونك بعض ما في رسالة من شاعر العربية « بدوي الجبل » يجيب بها عن رسالة تلقاها وهو في جنيف من أكرم يوم كان سفيرا في طهران :

« كتابك بين يدي ريحانة اشمها ، وحورية من حور الجنة الثمها وأضمها ، وبعض البيان عطر ، وبعضه سحر ، والكتابة منك واليك نعمة للنفس ، ونعمة للقلب ، ونعمة للفكر ، وما عند دوح البحيرة في جنيف ما يسكر كهذا الرحيق العربي المصفق بطيوب سعدي والخيام !

وبعد فثناؤك على بياني ، وهو ضيف على بيانك ، واحسان نزيل على احسانك ، فثناء الشمس على نجيمة تعيرها النور ، ثم تدللها فتبعث فيها الفرور ! » .

و « أكرم » كان صديقا وفيا ، واخا صفيا لائمة الادب العربي وأعلام البيان وشيوخ القضية العربية منذ صدر يفاعته ، ان لم نقل منذ حداثته . وقد كتب له الامير شكيب أرسلان من اوروبا ، وكان اكرم في الثانية والعشرين من عمره بعد ان شق طريقه في الحياة مجاهدا وكاتبا وخطيبا واستاذا وعضوا بارزا في الاحزاب الاستقلالية ، وحركة دؤوبا في القضية العربية ، الكتاب التالي ، الذي يعد طرفة من طرف امير البيان رحمه الله :

E. A. CORBELLA MANAGER PROP.

١٧ جمادى الاولى ١٣٥٤

ولدنا الحبيب الفاضل الاديب السيد اكرم زعيتر المحترم حفظه الله

ان كان قصر الى الآن بك سنك فقد نهض بك قدرك ورفع منك علمك فصنفك في صف الكبار ورشحك بين الذين تعتمد عليهم الاوطان فأسأل الله ان يزيدك علما ويؤتيك حكمة وحكما ويوفقك عملا ويبلغك املا ولا تنس ان لك بي أبا حدبا والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

المخلص
شكيب
ارسلان

اما خليل السكاكيني فكتب اليه : « واعلم يا اكرم انك من قلبي في المكان العالي ، وأشكر الله انني كنت اول من اكتشفك ونوه بفضلك، واشكره ان صحت فراستي فيك ! ولولا انني أخشى ان اكلف شططا لقلت : « اكثر الله من امثالك ، فبمثلك تعتز الامم وتفخر ! » .

نماذج من نثره : وصف « أكرم » زيارته قبر الرسول الاعظم محمد بن عبد الله وصفا مؤثرا ، وقد رأى نفسه روحا لا جسدا ، ولقد صاغه ربه من نور وراح يسلم على محمد ثم يقول :

« ترى هل يكفي السلام على محمد ؟ هل تشفي نفسي هذه التحيات الطيبات ؟ أنا في ظل القبة الخضراء ! أنا امام أعظم انسان ! أنا في مكان تلخص فيه تاريخ وأوجزت دنيا ، واختصرت السماوات والنجوم .

أنا جار أشرف حجرة ، وأمجد بقعة . يا لله ما أروع اللقاء وما أعظم ما تنعم به نفسي من صفاء وبهاء ! وما أشرق به ضميري من رواء ! وما اتسم به من نقاء . لا .. لست أقنع بالتحية والسلام ! لا بد من مناجاة . هذه ساعة أبيع العمر كله بها : في خاطري يا محمد ما أحب ان اقول لك . الله وحده عليم بما في نفسي ، وقد دعوته في مكة ان يفرج كربتي وان يبدد غمتي ، وان يعفي على محنتي ، ولكنني هنا يشتاق ضميري الى مناجاتك . أجل أبا الزهراء انني أريد ان اتحدث اليك ، ذلك لانني احبك حبا غمر بياني ، وغمر وجداني ، وارتفع لسعته وشموله عن النعوت والصفات ! وهذا الحب يطمعني في حق الدالة ، دالة المناجاة ، فهل تأذن لضميري ان يتكلم؟ وهل تسمح لوجداني ان يبثك ما يعتلج فيه ؟ لست وثنيا يا سيدي وانا أعلم انك انت الذي قضيت على الوثنية . ومع ذلك فهل تأذن لي بعد ان استغفر الله بأن أمرغ وجهي في ترابك ؟ لست وثنيا يا سيدي، وأنا لا اعبد الا الله ، واعلم انك بشر وانك عبده ورسوله ، ومع ذلك فان نفسي تتوق ، بعد ان تستغفر الله ، الى ان تقبل ترابا ضمك وأرضا وقفت عليها ، ومحرابا صليت فيه ، ومنبرا دعوت الله منه ..

لست وثنيا يا محمد ! انني أعبد الله ولا أشرك به وقد هديتني أنت لهذا ، ومع ذلك فانني اريد ان أتحدث اليك وأن أبثك ما في نفسي . هذه عبراتي تنثال غزيرة ولا يد لي في سفكها ، وكل دمعة خطاب . أأكفكف الدمع ؟ والله لست فاعلا ! هذا هو حق العين حين تكتحل بمرقدك يا رسول الله . انه تفاعل بين الفؤاد والعين ، الفؤاد يخفق والعين تترجم . انها كهربائية الرسول الاعظم وهذه دموع اختزنتها منذ زمن بعيد .. انني ادخرتها لساعة النجوى ! » .

وراح « اكرم » يناجي الرسول الحبيب الكريم !

ودونك مثالا من أدبه في المراسلات ، قطعة من رسالة بعث بها الى صديقه اديب الفارسية الاستاذ علي دشتي يتحدث فيها عن كتابه « ديوان شمس » : « وهممت بأن أعب نميره عبا ، ولكنني وجدته حقيقا بترشف ترشفا ، واعتزمت التهام هذا القوت الروحي التهاما ، فوجدت ان ادامه الزاكي مما يتذوق على مهل ولا يستطاب على عجل ، فارجأت قراءته رويدا حتى توافر لي في يوم من ايام نوروز روق فكر وصلاح بال ، وسعة وقت ، ونشدت المؤنس الصديق ، والمعلم الرفيق ، فوجدتك أنت . نعم وجدتك وقد سكبت روحك مدادا في سطور .. وتألقت ومضاتك حروفا في كلمات ، وقرأتك افكارا نيرة كلما اعدت تلاوتها تذوقت نكهة جديدة .. واذا اراد رهيف حس ان يهيج في نفسه وجد ، ويضطرم شوق نحو العوالم المجهولة التي يقصر دونها العلم والادراك فليرتل « ديوان شمس » فهناك الحب والجمال ، وهناك الوثوب نحو الكمال .

لقد قرأت في زاوية لا أتذكرها ان احدهم اراد ان يرمي خصمه بالجلافة وان يبرهن على انه غير اهل للصدارة ، وغير لائق بالكرامة ، ولا هو جدير بالزعامة فلم ير مثلبة اقذع من قوله : « لقد كان فظا غليظ القلب لا يهتز للشعر ، ولا يطرب بالموسيقى ولا يتذوق الادب ! »

وعلى هذا المذهب صرت ارجو ان يتتلمذ لك كل ناشد صدارة وكرامة ، ورائد وجاهة وزعامة ، فانت في أحاسيسك الرهيفة واحاديثك الطريفة ، في نقدك الرائع ، وبحثك الماتع ، في بيانك العالي وذوقك الرفيع ، مدرسة فذة طوبى لمن اعتمرها ، وأفلح من ارتادها » .

ومن نماذج نثره ما ختم به مقالا له في الدعوة الاتحادية قائلا :

« ان كل رسالة في الدنيا يبدعها الله في فكر العبقري الملهم خيالا ثم ينشئها في سريرته ضياء وجمالا ، ثم يقتحم بها الدنيا ثورة وصيالا ، وان رسالتنا في وحدة العرب ومعركة الثار لن يسلبها واقعنا المرير الفاجع روعة خيالها ، وفتنة جمالها ، ولا بشائر القبل

المرجو من كفاحها ونضالها . وستنعم هذه الرسالة من سرائرنا بما يندبها ويعطرها ، ومن دمائنا بما ينورها وينضرها ، وسترف على هذه الجذوة من الالم نفحة الايمان بالله وبالعروبة وبالمستقبل » .

ويكتب اكرم في ذكرى الشهداء (٦ أيار) بعنوان « اشراق قومية » فيقدم للحديث عنهم بقوله : « امة أصيلة صيغت من عنصر الاباء ، ونقلت بكبريائها الارض الى السماء ، وأملت على الدهر ما تشاء » .

ويتحدث عن بطولات في تاريخها ثم يقول : « وكتبت في العلم والفن صفحات نيرات باهرات ، بشرت وأرشدت وهدت ، وعلى سنة رسولها لتتمم مكارم الاخلاق وجدت ، تواصت بالحق وعليه تباعثت . يا لها ديمة سمحاء صافية ، اخصبت لها الارض وربت وأنبتت ، وحيث دقت حوافر خيولها وحيث خفق لها لواء شادت منارة تضيء ومئذنة بالحق تهتف ، وقبة استظل بها ناشد مغفرة من الله ورائد علم وطالب عرفان . ورأى الزمان امة من نور .

ثم قدر للنور ان يخبو ، وللفارس ان يكبو وأعرضت الامة عن سجاياها ، واخذت تفقد مزاياها ، وسنن الاجتماع لا ترحم فتخلى السؤدد عنها وتفرقت فذهبت ريحها ، واذا الرايات تطوى ، واذا الالوية تنكس ، واذا الكتب تحرق ان هي لم تغرق ! واذا بامة النور ، تسبح في الديجور ! كانت تصنع التاريخ ففقدت عبرة التاريخ . وماء الكرامة ؟ قد نضب ! وفتاة العرب تسبى ولا معتصم ولا عمورية ولا عرب ! جهل عميم ، وظلم طميم ! عدو يجتاح ، وحمى يستباح ! جباة تعفر ، وانوف في الرغام تغبر . ألا يرى العرب ما هم فيه ؟ انهم عمي ، الا يسمعون ؟ انهم بكم . وقلوبهم ما فعل الله بها ؟ انها غلف وعليها أكنة ! » .

وتتسم مقالاته السياسية بالنقاش المنطقي السليم مع الحرارة ، ويذكر قراء « الحياة » تلك المقالات التي كانت تتصدر هذه الجريدة بقلم « الكاتب العربي الكبير » .

واشتهر اكرم بمراثيه التي ودع فيها اخوان الجهاد امثال رياض الصلح وابراهيم هنانو وسعد الله الجابري وجميل مردم وصالح جبر وعادل العظمة وياسين الهاشمي ورشيد رضا وعبد الحميد كرامه وصبحي الخضراء ونجيب الريس وعبد القادر الحسيني وابراهيم ابو دية ودرويش المقدادي .

واني مقتبس مطلع رثائه لجميل مردم وفيه يقول : « احساسي حين ينعى الي مجاهد قديم او سياسي اروع كريم انني اودع بعضا عزيزا من تاريخي القومي ، وانني أطوي صفحة باهرة من امجادي الوطنية .

واذا كانت بيننا آصرة ولاء وعاطفة مودة واخاء وواشجة عقيدة وقرابة جهاد احسست انني اودع بعضا من نفسي[٧] وكان نفسي تغادر الدنيا تفاريق !

الا يكن جسدي أصيب فانني قسمته فدفنته اجزاء

واراني حين يقوم النعي بموت هذا السري الابي أقيم في ضميري مأتم وتجيء المناحات في وجداني تترى . أتمثل فيها طيوف السابقين الاولين ، والاسى النازل يبعث أخاه الدفين .

وقد قال المذياع ان جميل مردم قد مات في القاهرة ، وان جثمانه سينقل الى دمشق تمثل في خاطري « رياض » يقضي في عمان وينقل الى بيروت ليجاوز الاوزاعي ، وعادل العظمة يموت في بيروت ويؤوب جثمانا الى دمشق ، وياسين الهاشمي تمقه بغداد ثم يتخطفه الموت في بيروت ثم ينزل ضيفا على صلاح الدين في تربة الفيحاء » .

ومن رثاء له في رياض الصلح :

« من رأى العاصفة ؟ من رأى الاعصار ؟ من رأى البحر يمور ؟ من رأى البركان الهدار ؟ من رأى سنا البرق يخطف الابصار ؟ من رأى الشعاع يهوي ؟ من رأى الجذوة تقبس النار ؟

من رأى رياض الصلح ؟

من رأى الوجه المشرق الجميل ؟ والمحيا الطلق النبيل ؟

من رأى الرحمة الهاتفة في العبرة الواكفة ؟

من رأى القلب الرقيق والفؤاد الشقيق ؟

من رأى بشاشة الحيي في شجاعة الكمي ؟ من رأى رياض الصلح ؟

من رأى الالمعي الداهية ؟ من رأى البصيرة النفاذة الثاقبة ؟

من رأى البديهة الحاضرة والعارضة الملهمة الساحرة ؟

من رأى الذهن الوقاد والفكر النقاد ؟ من رأى الخاطر الحصيف والهاجس الرهيف ؟ من رأى رياض الصلح ؟

أين أين الذي كان يقري العين جمالا ويمير السمع بيانا ؟

اين الذي كان يرسل النغم الشجي واللحن السري الهني ؟ اين رياض الصلح ؟ » ..

وسمعت بيروت يوم جلا الاجنبي عنها اكرم زعيتر خطيبا في مهرجان الجلاء الذي اقامته النجادة فبدأه بتحية الشهداء قائلا :

« من واجبي في مفتتح القول في مهرجان الجلاء ، ان ارسلها تحية وفاء ، فيها للجميل عرفان ، وللمروءة ولاء ، الى النخبة الكريمة من الشهداء ، رووا يوم الفتح في تشرين ثرى وطنهم باازكي القاني من الدماء ، فترنح هذا الاديم العربي الظاميء ، سكران بالفداء ، ريان بالاباء ، نشوان بالكبرياء !

ومن على ذرى لبنان البيضاء ، ومن رضوان الله وغفرانه ، وهما رياحين السماء ، جمعت فتاة لبنان باقة اصفى من الصفاء ، واندى من الرجاء ، نثرتها في الرمال على قبور القافلة الاولى من شهداء لبنان ، بل شهداء العروبة العرباء من مياه النيل الى مياه دجلة ، ومن قباب صنعاء الى غياض الفيحاء ، ومن برقة الى تونس الخضراء الى الدار البيضاء » .

وسمعته دمشق في مهرجان جلائها يخطب خطابا اتسم بالقوة والحماسة البالغة وقد افتتحه بالاشارة الى كلمة الجنرال غورو على قبر صلاح الدين « اي صلاح الدين لقد جئنا ! » ثم قال « اكرم » :

« ولكن الدهر سمع هاتفا من وراء الغيب يقول : اي صلاح الدين كلا انهم سوف يتخرجون ، ثم كلا انهم سوف يخرجون . ان انتصار الباطل الى حين ، انه ربع قرن ، وتقر عينك ويجلو الغاصب عنها وتعود الى اهلها .

وانت ايها الجنرال : لا يغرنك جندك وكثرة اعوانك ، وشدة بأسك وسلطانك ، فان لهذا الوطن ربا يحميه ، وشعبا بالمهج يفديه . هات بعد اليوم بطشا وعسفا ونكالا ، وخذ منا صبرا واباء ونضالا !

هات مدافعك وطائراتك وقنابلك ودباباتك ، هات رصاصك ، واملأ سجونك ، وقتل الناس تقتيلا ، ومثل بهم تمثيلا !

انصب المشانق ودمر البيوت . هات من اغلالك هات ، وخذ منا في سبيل الحق ثورات وثورات ، وخذ منا الكفاح العبقري امثولات ! املك علينا كل أمر ، واقطع كل سبيل . افعل ما تشاء ، وحرم علينا الهواء ، فانت اعجز من أن تحرمنا نعمة الاستشهاد في قتالك ، وبذل الروح في قراعك وسجالك . هات اعتسافات وخذ تضحيات والايام

---

(١) صاحبها ابراهيم الشنطي ، صدر العدد الاول منها بيافا يوم ٢٠ نيسان ١٩٣٤ . (٢) صاحبها الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، صدر العدد الاول منها بيافا يوم ١٦ تموز ١٩٣٣ . (٣) صاحبها منيف الحسيني ، صدر العدد الاول منها بالقدس يوم ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٧ (٤) صاحبها الشيخ عبد الله القلقيلي ، صدر العدد الاول منها بيافا يوم ٢ أيلول ١٩٢٥ . (٥) وقع الاضراب الفلسطيني العظيم يوم ٢٠ نيسان ١٩٣٦ . (٦) « ١٨٩٣ – ١٩٦٥ » سياسي عراقي ، ولد ببغداد وتلقى علومه بها وتقلد عدة مناصب حكومية ، أسهم في بناء القومية العربية واشتغل بالمحاماة ، عهد اليه بتشكيل الوزارة العراقية عدة مرات وقام بالثورة على الانكليز في ربيع عام ١٩٤١ لكنها فشلت فبارح العراق الى المانيا . (٧) يعني به « القضية الفلسطينية » .

حبي الكبير

أتذكر يوم لقانا الاخير   وكم يا ترى قد مضى من شهور
قليل المدى في حساب الزمان   ولكنه في حسابي .. دهور !!
بأيام لقياك يحسب عمري   وان غبت : كالزهر ، دون العبير
ويا ليتني أستطيع الكلام   مع الناس عن لهفتي والشعور
ولكن أصون هواك بقلبي   كما يسكن السر طي الصدور
أترجمه كلمات حيارى ..   وأودعه نغما في السطور
وأحبس دمعي خلف الجفون   اذا عز حتى لقانا القصير
وأخفي الهوى عنك .. يا ليتني   أعبر عما طواه الضمير ! !
ولكن عيني تكشف سري   فتدرك أنك حبي الكبير .

مصر الجديدة   روحية القليني

بيننا ، والدهر دول ، ورأت هذه الديار في ربع قرن من ظلمه ما تشيب ، ولكن عزائمها لم تكن لتشيب ! » .

وقد عرف « اكرم » بارتجاله في المناسبات المؤثرة او الحماسية ، ولا يزال الفلسطينيون يذكرون يوم وقف يؤبن الشهيد عز الدين القسام مرتجلا فيقول :

« بالامس دفنا القسام ودفنا معه العدل البريطاني ، واليوم جئنا نؤبن القسام ونؤبن معه الانصاف الانكليزي !

لماذا تحتشد الحشود ، وتهرع الوفود ، وتقام الحفلات ، وتعقد الاجتماعات ؟

لماذا تخفق القلوب بذكر القسام وصحبه ؟ ولم التمجيد والرثاء والتأبين ؟ ألانهم ماتوا ؟ والناس قاطبة يموتون ؟ كلا بل لانهم عرفوا كيف يموتون ، وأي سبيل الى الجنة يسلكون !

ولكن لماذا تهز ميتتهم مشاعر الامة فتزحف الى ايداعهم لحودهم في يوم عنيف عظيم ، ويتداعى الشعب الى حمل نعوشهم على الاعناق ؟

لماذا رأينا الخلائق ترفع ايديها في ذلك اليوم التاريخي الى السماء صائحة : الله اكبر ! ولماذا تنطلق افواه النساء بالزغردة دون النحيب في مأتم الشهداء الخالدين ؟ ولماذا اندفعت حيفا في يومها المجيب اندفاع الاتي المنهمر تكاد قلوب شبانها وفتيانها تثب جمرات تقذف الاعداء ، ومآقي شيوخها تقدح شررا ؟ ذلك لان الامة وجدت في القسام ترجمانا احسن التعبير للغاصب عن شعورها واستيائها . وخاطب العاتي بافصح لغة واكرم بيان . ذلك لان القسام قد مسح عن جبهة الوطن عار الاستسلام وسبة الوقوف على الهوان ، ذلك لانه خاطبهم بلغة فصيحة مفهومة ، نافذة مؤثرة ، فاعز الكرامة العربية وفتح في القضية باب الجد ، ودق بيده المضرجة باب المجد » .

ثم يرد « أكرم » على البلاغ الرسمي الذي وصف عصابة القسام بالاشقياء فيقول فيما يقول : « يقول البلاغ الرسمي انها عصابة أشقياء وتقول الامة الحية كلا . كلا . انهم ابنائي وذوادي ، انهم مهجي وشهدائي . يقول القانون انهم عصابة اشقياء وتقول الامة التي دهتها الرزايا وتوالت عليها المحن والبلايا : ليس القانون من صنع يدي وانما هؤلاء الضحايا الذين صنعتهم يدي واحتضنتهم اليوم تربتي . عصابة اشقياء في البلاغ الرسمي ، أما في نظر الشعب العربي فسلوا عنهم الدموع المهراقة ، وسلوا عنهم الزفرات المتصاعدة ، بل سلوا عنهم الزغاريد تنطلق من أفواه النساء ، والهتافات من صميم افئدة الرجال . عصابة اشقياء في البلاغ الرسمي وعصبة من الشهداء في سجل القضية . يا صديقي الشهيد عز الدين القسام ! ليتك استطعت اليوم ان تنهض من نعشك لترى كيف رفعتك امتك وصحبك على الاكف والهام ! لقد سمعتك يا صديقي قبل اليوم خطيبا مفوها تتكيء على السيف ومن على المنبر ، وسمعتك اليوم خطيبا تتكيء على الاعناق ولا منبر تقف عليه ، ولكنك والله اليوم أخطب منك حيا . الا ان الاشقياء منا هم الذين سترى عيونهم هذه الامة العربية في فلسطين اقلية ذليلة مهانة . الا ان الاشقياء منا هم الذين يطيقون الذل ويقيمون على الهوان . ينكسون الرؤوس ، ويخفضون الهامات ، أما هؤلاء فشهداء سعداء ولو قال المندوب السامي البريطاني وقال قانونه انهم عصابة اشقياء ! » .

من آثاره القلمية : صنف « اكرم » عدة كتب في القضايا الوطنية والتاريخية والادبية ، ودونك اشهر مؤلفاته :

(١) تاريخنا : طبع عام ١٩٣٥ بالاشتراك مع الاستاذ درويش المقدادي .

(٢) المطالعة العربية « جزءان » : طبع عام ١٩٣٩ بالاشتراك مع الاساتذة : محمد ناصر وعبد الرزاق محيي الدين وعز الدين آل ياسين.

(٣) التاريخ للصفوف الابتدائية : طبع عام ١٩٤٠ بالاشتراك مع الاستاذين علي الشرقي وصدقي حمدي .

(٤) التاريخ الحديث : طبع عام ١٩٤٠ بالاشتراك مع الدكتور مجيد خدوري .

(٥) مهمة في قارة : طبع عام ١٩٥١ .

(٦) رسالة في الاتحاد : طبع عام ١٩٥٤ بالاشتراك مع الاستاذين ساطع الحصري وكامل مروه .

(٧) القضية الفلسطينية : طبع عام ١٩٥٦ ونقله الدكتور موسى خوري الى الانكليزية عام ١٩٥٨ كما نقله اكبر هاشمي الى الفارسية عام ١٩٦٥ وترجمه الدكتور شمس الى اللغة الاردية .

وقد علمت ان الاستاذ زعيتر يعد العدة لاخراج الكتب التالية :

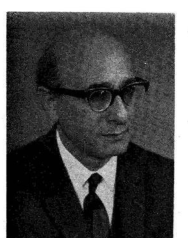
(١) المفصل في القضية الفلسطينية .

(٢) ذكريات في الحركة الوطنية .

(٣) دراسات عن جمال الدين الافغاني .

(٤) في السياسة والادب « مجموعة مقالاته » .

عمان ـ الاردن   البدوي الملثم



محمد اديب العامري

برتراند رسل فيلسوف العصر

بقلم محمد اديب العامري

* * *

نزعـات رسـل الاساسيـة

صدر خلال الربع الاول من هذه السنة (١٩٦٧) الجزء الاول من كتاب الترجمة الذاتيـة للفيلسوف الانجليزي برتراند رسل . ويقع هذا الجزء في ٢٣٠ صفحة من القطع الكبير والحرف الصغير . وستتم هذه الترجمة في جزء ثان يعقب الجزء الاول عما قريب .

وقد تناولت الصحف والاذاعات الكتاب قبل وصوله وأحدث صدوره اصداء واسعة كالتي ننتظر لهذا الفيلسوف الشهير ، الذي بلغ الرابعة والتسعين من عمره ، والذي ألف ما يقارب من خمسين كتابا . وقد ذكر أن دار النشر التي اصدرت الكتاب « ألين وانوين » قد دفعت لرسل ٧٢ الف دينار على الحساب ، لقاء نشره في اميركا فقط ، وذلك انتظارا لانتشار الكتاب على أوسع نطاق . وقد منعت دار النشر هذه منذ البداية أي تصرف بحق التأليف ، الا ضمن الحدود الضيقة التي يسمح بها اتفاق بيرن لحقوق التأليف والنشر . ويزيد ثمن الجزء الاول من الكتاب قليلا على جنيهين .

ويعتبر برتراند رسل من أعاظم فلاسفة العصر ، ان لم يكن اعظمهم على الاطلاق . ومهما يكن من أمر فقد مزج هذا الفيلسوف بين العلم والفلسفة والسياسة على شكل أشركه في التيارات العالمية الرئيسية اشراكا اكسبه شهرته الواسعة على مدى السنين الطويلة التي عاشها . .

لقد ولد سنة ١٨٧٢ وما يزال نشيطا الى الان ، مدة تقرب من قرن ، ونبغ في العقود المبكرة من حياته فعاش عمرا منتجا لا يزال انتاجه يغذي عقول البشر النابهة الى يومهم هذا . ولمشاركة رسل في الحياة السياسية غير الحزبية في بلاده وفي العالم كله أثر كبير في اتساع الشهرة التي يتمتع بها في الاوساط العالمية المختلفة .

ويضرب رسل بسهم وافر في معظم ميادين المعرفة ، وهو يمتاز بعقل ناقد وتفكير مثير يحمل القاريء على اعمال ذهنه . وله حافظة قوية تدل عليها الحقائق الغزيرة التي يعرضها في كتبه العديدة وابحاثه المتنوعة . ومع أنه متشعب الفكر والمعرفة فانك تستطيع ان تجمله في حقول ثلاث ، هي الرياضيات والفلسفة والسياسة .

وبعض عناوين الكتب التي اصدرها تشير الى تشعب ميادين المعرفة التي يضرب فيها . فهناك كتابه عن « مبادىء الرياضيات » ، وهو من أول الكتب التي اصدرها ، وهناك كتابه عن « النسبية » وكتبه عن « المادة » و « الكون المتغير » و « القوة » و « النظرة العلمية » و « الحرب الذرية » و « مبادىء الاصلاح الاجتماعي » و « نظرية الشيوعية وتطبيقها » . وهناك ايضا قصصه القصيرة « الشيطان في الضواحي » ... الخ .

فاذا بحثت عن النزعات الاساسية التي حركته في حياته فليس أصح لنا من نقل ما قاله هو عن نفسه : « لقد سيطرت على حياتي نوازع بسيطة ، ولكنها عميقة طاغية ، وهي التعطش الى الحب ، والبحث عن المعرفة والاحساس بالام البشرية » .

فاذا التمسنا هذا في الكتاب الذي بين ايدينا عن حياته وجدناه مرسوما كله رسما مجسما بقلمه السيال ، كما اشرنا . غير ان هذه النواحي تحتاج الى توسيع وتفصيل ، مجاله ولا شك هو الجزء الثاني من سيرته . ويتحدث الكتاب عن السنوات الاربعين الاولى من عمره ، التي تنتهي ببداية الحرب العالمية الاولى ، فيتناول طفولته ويفاعه ودراسته وخطبته وزواجه ، ثم صدور كتابه الهام في « مبادىء الفلسفة » .

رسـل والمرأة والحب

وهو يفتح سيرة حياته بمقطوعة شعرية مؤثرة يقول فيها بخطه المرتعش ، مخاطبا زوجته اديث :

بحثت عن الطمأنينة والسلام خلال السنين الطويلة ،
فلم أجد الا الذهول والارهاق والجنون والوحدة .
أجل وجدت الالم الفريد الذي ينهش القلب ،
لكني لم أجد الطمأنينة والسلام .
والان ، وقد هرمت واقتربت نهايتي ،
عرفتك ، فوجدت السعادة والهدوء والراحة ،
وبعد العديد من سنوات الوحدة

عرفت ما يمكن أن تكون عليه الحياة والمحبة ،
فاذا ما نمت الان ،
فاني أنام وقد رويت نفسي وامتلأت .

وكانت زوجته هذه هي الرابعة من زوجاته ، فقد تزوج ثلاث نساء من قبل وطلقهن ، أو طلقنه واحدة بعد الاخرى ، الى أن كانت سنة ١٩٥٢ ، أي منذ اربع عشرة سنة ، فتزوج أديث ، وكان عمره اذ ذاك كما ترى ثمانين عاما ، فاطمأنت اليها نفسه وهدأ خاطره . أما زوجته الاولى فكانت اميركية ، وكان قد تزوج منها سنة ١٨٩٤ ، أي عندما كان عمره ٢٢ سنة ، دون أن يمس امرأة من قبل . وكانت جميلة بارعة الجمال ، رزينة مثقفة . وقد أحبها من اللقاء الاول وتزوجها على الرغم من اهله ، واتفقا على عدم انجاب الاطفال . على أنه تبين فيما بعد انها عاقر . وفجأة أحس أنه لا يحبها . ومع أنه عاش معها زمنا بعد هذا الاحساس فانه لم يقترب منها الى يوم طلاقها . وهو يعلل ذلك بكره منه لشططها في ادعاء الفضيلة حتى تخيل الامر عندها كالنفاق . وكانت تصرفاتها مؤذية للناس ، وان كان ذلك عن غير قصد منها . ودفعها هذا الخلق الى الكذب . وكانت شديدة الاعجاب بأمها ، حين كان رسل يرى عيوبا جسيمة فيها ، ولذا لم يطق صبرا على مشايعة زوجته لأمها ، فانتهى الحب الذي دام سنوات عديدة لم يجد خلالها ما يعيبه على امرأته . وانتهى ذلك الزواج على الرغم من النصح الذي وجه اليه بأن اصحاب الخلق العالي لا يظهرون الناس على عيوبهم العائلية ، لكن رسل قال : « لقد آمنت آنئذ بأن المرء يجب أن لا يخرج على الصدق حتى في علاقاته الخاصة ، وشق علي التظاهر بالحب لامرأتي بعد أن ذهب حبها من قلبي . وفي سنة ١٩٢١ تزوج مرة ثانية . واستمر هذا الزواج اربع عشرة سنة ، ثم تزوج في السنة التالية زوجته الثالثة التي شاركته الانتاج في احد كتبه ، ومع ذلك فقد طلقها ، حتى استكان في سن الثمانين الى زوجته الرابعة التي قال فيها مقطوعته الشعرية التي ترجمناها له في مطلع هذا المقال .

وكان رسل يؤمن بزواج الصحبة ، ولقد بشر بهذا النوع من الرباط الزوجي مدة من الزمن هو وأتباع له حتى رأى بعينيه اخفاق فكرته . وكان معجبا بالعلاقة الحرة للزواج الناجح الذي رآه في سدني وبياتريس وب ، رائدي الحركة الفابية في بريطانيا في مطلع هذا القرن . وكان يروقه أن يعيد كلمة لسدني وب في علاقة الزواج التي حيرت رسل ، اذ كان يقول : « ان الزواج هو سلة المهملات الخاصة بالعواطف » .

ولا يتردد رسل فيما يطالعك به من تاريخ حياته في التحدث عن علاقاته الجنسية قبل الزواج وبعده . وسيرته من هذه الناحية شبيهة بسيرته كلها من حيث الاعتدال والتقشف ، فقد تزوج دون أن تكون له سابقة في العلاقة الجنسية ، الا من قبلة لخادمة في بيته . وبعد زواجه الاول تعرف الى زوجة صديق كبير له هي السيدة اوتولين . وكان قد أحب فيها براعتها في تنظيم البيت الذي تعيش فيه وابداعها الفني في تنسيقه . قال رسل : « لقد أحببت دائما في حياتي الاشياء الجميلة ، ولكني لم اقدر على توفيرها لنفسي . أما جو البيت الذي تقيم فيه اوتولين فقد غذى نفسي بما كانت تتوق اليه طوال عهدي بالزواج الاول . كنت اذا دخلت بيتها شعرت بالراحة تغمرني وتنسيني العناء الممض للعالم الخارجي » . واتصل بها ، وأعلم زوجته بذلك ، على الرغم مما تعرض له من خطر الموت . وفي سنة ١٩١٦ انقطع عن علاقته بها . ويتحدث رسل في الكتاب عن علاقته بنساء أخريات ، ولكن حسبنا ما تحدثنا عنه من هذا الجانب من حياة الرجل .

على أن المحبة جملة هي التي شغلت رسل في حياته ، ولم يكن الحب الجنسي الا جانبا منها . ومع أنه لم يهتم بالاطفال في صغره ، فانه لم يشب عن الطوق حتى دخل حب الاطفال الى قلبه بصورة لافتة للنظر . ولعل حرمانه من الاطفال في زواجه الاول أدى به الى ذلك . وقد كتب وهو في سن الاربعين فقال : « سيطر علي حب الاطفال الى حد أني لم أكن ارى طفلا يلعب في الشارع الا اصابني ما يشبه الالم الممض الذي لا يحتمل » . ودافع راسل عن حقوق المراة منذ مطلع حياته واستمر في طلب النصفة لها طوال عمره . وكذلك فعل ازاء قضايا العمال والامم المستضعفة . وتوجه لمعارضة الحرب في بلاده منذ الحرب العالمية الاولى ، وجاهر بذلك حتى زج به في السجن . وكرر موقفه هذا في الحرب العالمية الثانية ، على الرغم من كراهيته للنازية ، وها هو اليوم يرى الوقوف ضد الحرب في فيتنام .

والواقع ان مطالعتك لكتاب رسل تريك كيف رضع لبان المحبة منذ نعومة اظفاره وعاش طفولة سعيدة . ومعانه يشير الى ان تربيته قد عهد بها الى مربيات اجنبيات فانك لا تخطيء اثر حب جدته في غرس بذور المحبة في نفسه ، تلك المحبة التي ظمىء بها طوال عمره ، والتي غمر بها العالم والناس من حوله ، وقال مبكرا في هذا الصدد على الرغم من صلف عائلته الارستقراطية وعنجهيتها . « لقد بدا لي واضحا أن سعادة البشرية يجب أن تكون غاية كل عمل ، وكان من دواعي عجبي أن القى اناسا يفكرون غير هذا التفكير » .

رسل والبحث عن المعرفة

اما البحث عن المعرفة فقد ادى برسل الى أن يعتبره كثيرون فيلسوف هذا العصر في العالم كله ، وهو يدلك في ترجمته على الجذور الاولى لهذه النزعة ــ حب المعرفة ، فقد تناول ذهنه كما أشرنا أكثر جوانب المعرفة . فهو

رياضي وفيلسوف وعالم ومعلم وسياسي وكاتب ذو أسلوب خاص . وقد حاز على جائزة نوبل في الآداب . وظهر ميله الى الشعر مبكرا ، وقرأ وهو في السادسة عشرة والسابعة عشرة من عمره شعر بايرون وميلتون وشكسبير وتنيسون وشيلي . وصاحب رغبته في قراءة الشعر رغبة اخرى ملحة في الاطلاع على أصول الدين والفلسفة . ولقد كون بنفسه آراء أصيلة عن المادة والحركة والجسم الانساني ، ولكنه لم يؤمن بالمادية ، وظل في الغالب نزاعا الي الاعتقاد بوجود قوة روحية عليا . وقد بدا في تكوين افكاره هذه منذ الخامسة عشرة ، وتدل سيرة حياته على أنه بدأ بتدوين آرائه في مذكرات منتظمة وهو في هذه السن او قبلها . وطفى منذ ذلك الوقت على نفسه التفكير بأن ينتج شيئا هاما في الرياضيات ، ونجد في مذكراته لتلك السن قوله : « لا أجرؤ على أن اخبر اهلي بأن ايماني باليوم الآخر ضعيف » ، ومع ذلك فقد عزا في هذه المذكرات وجود القوى الطبيعية والمادية الى وجود الله . وقد دون في مذكراته وهو في هذه السن المبكرة أنه يعاهد نفسه على تحكيم العقل ، لا الفريزة ، وعلى ابتغاء السعادة لاكبر عدد من الناس ، وعلى البحث عن الحق مهما كانت النتائج . ومع ذلك فهو يقول : « لقد حطم البحث عن الحق معظم معتقداتي .. ولا أظنني الآن أسعد حالا من ذي قبل ، والحق يباعد بيني وبين الاصدقاء ، ولا يمكنني من تكوين صداقات جديدة . ولعل اتباع الحق نوع من الاستشهاد ، فان ما يصيبك من الاذى في سبيل الحق يعود بالخير على كثير من الناس الآخرين » ..

واذا عدنا مرة اخرى نتقصى جوانب المعرفة عند رسل فيما كتب وجدنا أن كتاباته تناولت العلم والمجتمع ، والفرد والحقيقة والخيال ، والزواج والاخلاق ، ومستقبل البشرية والحضارة الصناعية والحرية والنظام حتى ومشاكل الصين . وتدل على ذلك مؤلفاته في هذه المواضيع ومؤلفاته الاخرى التي أشرنا اليها قبلا .

ومع أن بعض المفكرين يرى أن توزع رسل على فروع المعرفة المتنوعة هذه قد كان على حساب تعمقه في نواح محدودة ، فمما لا شك فيه أن حدة ذكائه وقدرة استيعابه قد رفعته الى سوية عالية يظل فيها علما كبيرا من اعلام الفلسفة والعلم في هذا العصر ، وبخاصة في طريقته المنطقية وتقريبه الفلسفة من العلم ، كما سيتضح لنا فيما بعد ..

وقد حاول رسل من خلال معرفته الموسوعية ان يضع نظاما فلسفيا للمجتمع البشري ، فكتب كتابه « القوة » الذي يعتبره بعضهم الفلسفة الحقيقية لرسل . وقد وصف كتابه هذا بانه « تحليل اجتماعي جديد » . ويرى في هذا الكتاب أن القوانين التي تسير المجتمع وتطوره ليست وسائل الانتاج ودوافع القوى المادية التي يشير اليها ماركس ، وليست الدوافع العقلية السلوكية التي فكر فيها الاقتصاديون التقليديون من قبل ، وانما هي (القوة) جملة ، بما في ذلك القوى المادية والعقلية على السواء . فالناس عند رسل يطلبون الرزق الكفاف أولا ، فاذا حصلوا على قدر كاف منه اندفعوا بعدئذ الى السيطرة على القوة لا على الثروة . وكما أن الطاقة هي العامل الاساسي في حركة المادة فان القوة هي المحرك الاساسي للمجتمعات البشرية .

وعندي ان فلسفة رسل هذه في مذهب القوة هي المستقر الحقيقي الذي رست عليه محاولاته الواسعة في البحث عن المعرفة وحقائق الكون .

اصول فلسفة رسل وسياسته

فاذا جئنا الى موضوع الفلسفة ، وهو الموضوع الذي ترتكز اليه شهرة برتراند رسل ، فان علينا فيما يبدو أن ننتظر الجزء الثاني من سيرته . ان الجزء الذي بين ايدينا يحتوي على فصل واحد في الموضوع ، وهو الفصل الذي يتحدث عن « المبادىء الرياضية » . وهو الكتاب الضخم الذي كتبه مع الفيلسوف البريطاني وايتهد . ومع أن هذا الفصل طويل فان رسل لا يتحدث فيه كثيرا عن فلسفته ، بل يدخل في كيفية كتابته لمؤلفه الخاص « مبادىء الرياضيات » . ويخرج منه ليتحدث عن طباع وايتهد ومشاكله (مشاكل رسل) الزوجية ، وقضية الحرب وحقوق المراة ، ثم يعقب على ذلك بعديد من الرسائل التي تبادلها مع جلبرت موري ولوسي دونيلي وجورج تريفليان وغيرهم . على انه يوضح أن انقطاعه لكتابه « مبادىء الرياضيات » وتفكيره ليلا ونهارا في جلاء المبادىء الرياضية وتوضيحها بعد أن كانت غامضة ، ووضعها في قوانين رياضية دقيقة يعتبر قمة عمله وانتاجه طوال حياته . وكان ذلك خلال ايلول سنة ١٩٠٠ ، وهو في سن الثامنة والعشرين . وعندما تبلورت لديه هذه المبادىء قعد فكتب كتابه الخاص « مبادىء الرياضيات » الذي تألف من نحو ٢٠٠ ألف كلمة . وكان ذلك في نهاية القرن التاسع عشر كما رأينا . وقد اشتهر بعد ان اخرج كتابه هذا وتعرض للنقد والمشاكل . ووصف ذلك حرفيا بقوله : « بعد زواجي اصبحت حياتي العاطفية سطحية هادئة ، ونسيت القضايا الرئيسية واكتفيت بمظاهر البراعة العابرة . وفجأت مادت الارض تحت قدمي فوجدتني في عالم آخر . وفي دقائق خمس عبرت بي الافكار التالية : « ان شعور الوحدة الذي تحس به النفس البشرية لا يحتمل ، ولا يستطيع اقتحام هذا الشعور الا الحب ، الحب في اعلى معارجه ، مثل الحب الذي يبشر به رجال الدين . وينتج عن ذلك ان الحرب عمل خاطىء ، وان نظم التعليم في المدارس الخاصة شيء قبيح ، وان الناس يجب ان يقلعوا عن استعمال القوة وان المرء يجب

ان يتوغل في العلاقات البشرية الى صميم الشعور بالوحدة عند الناس ، وان يخاطب ذلك الشعور نفسه » .

وقال رسل : بعد نهاية تلك الدقائق الخمس اصبحت رجلا آخر مختلفا جدا . فبعد ان كنت استعماريا اصبحت من خلال هذه الدقائق الخمس مسالما ، ومشايعا للبوير ، ووجدت نفسي ممتلئة بالشعور بالجمال وبحب الاطفال ، ونشأت فيَّ الرغبة العارمة في البحث عن فلسفة تجعل حياة البشر محتملة . ولازمني شيء مما هبط علي خلال هذه الدقائق بقية عمري كله ، وهو سبب موقفي ضد الحرب العالمية الاولى وسبب محبتي للاطفال وعدم اهتمامي بالمشاكل الصغرى وميلي الى النزعة العاطفية في علاقاتي مع الناس » .

ومع أن هذا هو لباب شخصية رسل ، فانه لا يوضح في الكتاب فلسفته . انه يمر مرورا عابرا جدا بفكرته الرئيسية في المنطق ، وتحديد التعابير الفلسفية ، ونظرية الاوصاف ، ولكنه يفرض ان القارىء لا يهمه تفهم المعاني الكامنة وراء هذه النظريات ، أو أنه يعرفها ، فلا يجد حاجة للخوض فيها . وحقا ما يفعل ، فليس المجال مجال شرح للفلسفة ، ولكنه مجال سيرته وحياته .

وفي الحق انك تقرأ فلسفة برتراند رسل وكأنك لا تقرأ « فلسفة » ، ولعلك تطالع علمه كذلك ولا تحس بتجريد الابحاث العلمية ، وتمضي معه في « سياسته » فلا تجد انك على مستقر نهائي يفضي بك الى حل واضح لمشاكل العالم . وعندي ان رسل له فلسفة ولكن ليس له « نظام فلسفي كامل » . ومع ذلك فقد بدا له مؤخرا على يد احد تلاميذه ان الاساس في فلسفته قد تعرض للتعديل ، كما سيتضح لنا الان .

رسل والفلسفة العلمية

بل الامر على العكس ، فان نتيجة ما جاء به هو وبعض من تلاميذه وزملائه يكاد يؤدي الى نسف الفلسفة بتقريبها من العلم او دمجها فيه . فاذا أمعن المفكرون بعده في الاسلوب المنطقي الذي جاء به ، وبُخاصة تلميذه النمساوي فيتجنشتاين ، فربما انتهى ذلك الى ان تتخذ الفلسفة اسلوب العلم ، او الطريقة العلمية ، فتتوارى جزئيا او كليا عن ميادين المعرفة .

ان أهم ما جاء به رسل في الفلسفة هو « الاسلوب المنطقي » الخاص به . ويرتكز هذا الاسلوب الى استعمال المنطق في فهم التعابير اللغوية التي تصاغ بها القضايا الفلسفية ، دون الاعتماد في ذلك على المعاني اللغوية للألفاظ والعبارات وحدها . ان المفهوم اللغوي فقط لا يكفي غالبا عنده للاحاطة بالمعنى الكامل للقضية الفلسفية . فاذا قلت مثلا « اني اكتب لمجلة الاديب » وجب التحوط لمعنى منطقي وراء هذه الالفاظ اللغوية ، وهو امكان اني قد اكتب لمجلة اخرى .

وكما ان المادة تتكون من ذرات متنوعة هي أساس تركيب المادة ، فان هنالك جزئيات هي « الوقائع » التي يصفها رسل بـ « الوقائع الذرية » في القضايا الفلسفية . والمثل السابق يتألف من وقائع « الكتابة » و « المجلة » و « الاديب » . أما عدم الاعتماد على الالفاظ وحدها وضرورة ربط النتائج المنطقية بها فهو اسلوب « المنطقية الذرية » ، وهو حجر الزاوية في أسلوبه المنطقي .

ولقد تعرضت فلسفة رسل لقضايا اخرى في الرياضيات والمادة والعقل وغيرها ، ولكن الشيء الاساسي في فلسفته هو الاسلوب المنطقي الذي اشرنا اليه . وقاعدة فلسفة رسل هي « الفلسفة التجريبية » التي تقرب بطبيعتها الفلسفة من العلم . فرسل ورفاقه يريدون ان تكون للاوصاف والقضايا الفلسفية جذور في الواقع . والواقع عندهم يجب ان يوصف بدقة ، لغويا ومنطقيا .

وقد نشأت فلسفة رسل كرد فعل للاسلوب الغيبي الذي كان متبعا في الوصول الى القضايا الفلسفية وما يزال الى الان ، لكن بدرجة اقل . فقد عاين رسل كما هو معلوم ان الفلسفة التقليدية ترتكز الى الفاظ وعبارات ومعاني يفهمها في الغالب الفيلسوف الذي استعملها وحده ، وان هذه الالفاظ والعبارات والمعاني نابعة بصورة ذاتية من تفكير الفيلسوف ، دون دليل حسي أو برهان عملي ، وانما الامر جدل لفظي فكري يعتمد فيه صاحبه على الطريقة الغيبية التي لا رابط لها ولا ضابط ، ويستطيع الفيلسوف ان يذهب بها كل مذهب . ولذا اتسمت الفلسفة دائما بالغموض وقدرة قليل جدا من المفكرين على « فهمها » .

اما فلسفة رسل فتقوم على وصف الوقائع وصفا واضحا بحسب التعبير اللغوي ، ومنطقيا من حيث المعنى الكلي . بعد هذا تتكون القضية الفلسفية على نحو ما يتكون المذهب العلمي من مجموعة الحقائق التي يجمعها العالم ويصنفها ويقيم مذهبه على أساسها . ومن هنا تصبح طريقة رسل في تأليف القضايا الفلسفية أشبه بالطريقة العلمية في تأليف المذاهب والقوانين العلمية . وبقدر من ذلك يقترب المنطق الفلسفي من الاسلوب العلمي وتقترب الفلسفة من العلم . ومن هنا يظن بعض المفكرين أن مستقبل الفلسفة هو الاندماج في العلم . وهذه النزعة في فلسفة رسل وزملائه هي التي يعبر عنها احيانا بـ « الفلسفة العلمية » .

وواضح من ذلك كله أن فلسفته ليست مثالية مثل فلسفات اكثر الفلاسفة التقليديين الذين عرفناهم ، ولا مادية مثل فلسفة ماركس ومن تبعه ، وانما هي تجريبية كما قلنا ، واقعية تتخذ لنفسها اسلوب التحقيق ، وهو اسلوب شبيه بالاسلوب العلمي . بل ان قضية الاستنباط المنطقي هذه التي يلح عليها رسل تكاد ان تكون شكلا من أشكال الاسلوب التقليدي الغيبي . ولعل رسل قد لاحظ

جـراح

نفى النوم عن عيني هـم تأوبـا ... ودهـر بمـا لا أشتهـي قد تقلبا
رماني فابلـى بالسهـام حشاشتي ... وخلى جراحـي باديـات وغيبـا
وجرح بعيد الفور ما زال نازفـا ... أكابد منه ضيعة المال والصبـا
ودينا أبيت الليل منه مسهـدا ... حزينا وأمشي في النهار مقطبـا
كأن الجبال الراسيـات جميعهـا ... على كبدي منه وان لحت طيبـا
اذا ما رأيـت الدائنين فجـاءة ... حثثت خطاي الخرس منهم لأهربا
وحدبت الى يمنى ويسرى فأسرعوا ... ورائي كما حاش السلوقي أرنبـا
أنـام على هم وأصبح جازعـا ... وأقضي نهـاري خائفا مترقبـا
فيا لك مـن عيش أكابـد مـره ... أرى الموت احلى منه وردا واعذبا
وما ملكت كفاي شيئـا فافتـدى ... ديونـي به الا سريـرا ومشجبـا
وديوان شعر لم جد فيـه راغبـا ... سكبت به حبي وقلبي المعذبـا
وشيب علا رأسي ادمت خضابـه ... ليكتم عند الغيد سري المحجبـا
اذا نصلت اطرافه خلت أنهـا ... أفاعـي رمال أوشكت ان توثبـا
وفي النفس حاجات الى الغيد جمة ... وفي الجسم جمر لم يزل متلهبـا
ويمنعني منهن لا عفـة التقـى ... ولا خوف عذالي ولا الرأس أشيبا
ولكن فقرا مدقعا حل ساحتـي ... يغل يدي من ان تنال المحببـا
يعارضني من حيث ما رمت نجوة ... وأجرى ولكن لا أرى منـه مهربـا
وكم مر طفل من أمامي فشاقني ... وأغرى دموع العين ان لم اكن أبا
أحن الى الاطفـال حـين أراهـم ... حنين الصبا الولهى اذا هبت الصبا
ومـا كان حرماني لـداء اصابني ... وان زعمتني ربـة الذنب مذنبـا
ولكنهـا تخشى المصـاب بضرة ... فتوسعني لومـا لتبلـغ مأربـا
ولست بباغ ضرها بعد صحبـة ... ولست عليها ما حييت معقبـا
وما قصرت كفاي عن طب ما بهـا ... ولكن سن اليأس تأبى التطببـا
ولو ان لي طفلا على الشيب واحدا ... لكان لنفسي في دجى الخطب كوكبا
أرى فيه ريحاني وروحي وراحتي ... وبهجة احلامـي وظلي المحببـا
أفيء عليه من حنانـي سحابـة ... وأمطره من رحمة القلب صيبـا
ولكنها الاقدار تحـرم شاعـرا ... وترزق يربوعـا وذئبا وثعلبـا

حلـب — **عمر ابو قوس**

فيما بعد هذه البقية الغيبية للاسلوب المنطقي ، فأخذ يشكك في قيمتها . وقد تخلص من هذا قيتجنشتاين فاعتبر أن أساس الغموض والفوضى في الفلسفة هو عدم التزام التحديد المتعارف عليه في الالفاظ والعبارات . ان اللغة وحدها عنده لا تقصر عن ابراز المعاني ، ويجب الاكتفاء بما تبرزه اللغة ، دون ملء « الفراغ » بالمعنى المنطقي على طريقة رسل .

أما فلسفته في الرياضيات التي توصل اليها عند نهاية القرن التاسع عشر ، وأشار اليها في ترجمة حياته بانها قمة عمله وانتاجه طوال عمره ، فهي مرتبطة باسلوبه المنطقي ، وقد لخصها الاستاذ نيل بان الرياضيات البحتة يمكن استنباطها كلها من عدد قليل من البديهيات المنطقية. وقد بلغ في هذه الفلسفة حدا استطاع معه ان يعود القهقرى الى المباديء الرياضية الاولية ، وصعدا الى المباديء المعقدة ، على أساس معادلة « بديهية التحويل » التي وضعها . ولكن هذه المعادلة لم تحز القبول لدى اكثر الرياضيين والفلاسفة . .

بذلك يكون رسل قد عاين تداعي الجوهر الاساسي في فلسفته قبل انقضاء عمره ، لكن أثره العميق في زعزعة الاسلوب الغيبي وتقريب الفلسفة من العلم اثر تاريخي خالد لا يمحى .

عمان ــ الاردن — **محمد اديب العامري**

ذكريـــات

فـــؤاد الخشـــن

المطر الغزير المفاجيء



أنا ما زلت باشراق خيالي استعيد
سهرات الامس في بيت ((سعيد))
وحكايا يجتليها من مغارات الزمان
بمرايا تبفه عبر الدخان ! ..
في حنايا عالم ما راودت
ارضه العذراء رؤيا سندباد
كان يرويها مجيلا في الزوايا ناظريه
واذا ما خيم الغيم النعاسي عليه
طمر الباقي باكداس الرماد
لقد يلهبنا الشوق الطفولي اليه
أنا ما زلت مع الذكرى اعود
لزقاق عرف القمصان والركض وتقطيع ((السنادل))
عبث الامس وتكريج الدواليب .... وما
كان من سماقة يرسله
مطرا للخصب ((عادل)) !
صوته حين يغازل
حلوة الحي .. يغني
في الدهاليز فلا يبقي بها
أي طيف او صدى من صوت انسي وجن ..
أنا ما زلت ارى في لهب الظهر ((رفيق))
حينما يرخم في خم الدجاج
((قرقة)) تتقن حضن البيض تفقيس الفراخ
ثم يجري حاملا في ثوبه
لوحـة رائعة ترسمهـا
برموز اللون افراخ الشقيق !
ولكم اذكره في ذعره
حينما تبدو على الافق تباشير المطر
تزحف الغيمات في غاباتنا فوق الشجر
فاصيح :
ـ اقبل ((المازوخ)) * أسرع يا ((رفيق))
قبل ان يفرز في رأسك انياب الفحيح
ثم اهوي غارزا في شعره
من خبايا جدتي مشطا عتيق
وهو يمضي صارخا وع وع ..
والاوداج نبض وانتفـاخ
نافضا عن رأسه ((المازوخ)) .. يكبو في الحفر !
تاركا في جريه عبر السياج
من بقايا ثوبه الدامي اثر !
ليت ذاك الامس يا ((عادل))
في ارض ((الشويفات)) يعود
لنعيد الفرح المدفون في الاعراق نمضي و ((رفيق))
خلف ما يفرض عرف .. وحدود
نوقظ الاصداء .. نغزو في لياليها الكروم
ليس ندري ما ضباب الغم .. ما ثلج الهموم !

— ناولني الابريق .

(أسرعي ! ما أثقل حركتك !) .

— ماذا تريدين ؟

(أراحنا الله منك ! ما اكثر طلباتك) .

— الابريق ! الابريق ! الا تسمعين ؟

(ان رأسك محشو بالعناد ، ولا يروضك الا الضرب بالعصا) .

هذا مشهد من كثير من المشاهد التي تؤلف منها حياتها اليومية . فردوس وانصاف . فردوس زوجة سعيد ، وانصاف ابنة زوجها .

الدار واسعة مؤلفة من ست غرف وتطل على حديقة غناء يخيم الهدوء على اشجارها وينبعث التغريد الحلو من اطيارها . لون أخضر يؤلف سقفا من الاوراق ممتدا على الجذوع والاغصان والفروع . وعيون متفتحة من الازهار تبث عبيرا شذيا حولها . وطيور قافزة لاعبة مترنمة . هناك فنان جميلان ، الرسم والغناء ، يمتعان النظر والاذن . وهناك طيب يمتع الانف .

(الدار ضيقة ، فقد ملئت بصياح فردوس وابنة زوجها انصاف . مشاجرة وسباب وصياح . عبوس وبغض ونفور . ليس في تلك الدار الواسعة مكان للمحبة والانس والسلام . وليس فيها عيون متفرغة للنظر الى خضرة الحديقة ، وآذان للاستماع الى تغريد الطيور ، وأنوف لشم عبير الازهار) .

ما أجمل فردوس ! وجهها جذاب فاتن الملامح ، وصوتها عذب ، وحديثها حلو . مشرقة ببياضها وغضة باهابها ، ولكن ليس في الدار من يقدر هذه الالوان من الجمال . حينما يعود زوجها سعيد الى الدار تترعرع وتنتعش تحت نظراته المعجبة ومن حديثه الطلي . ولكن زوجها الشيخ لا يعود الى الدار الا في آخر النهار . أما خلال النهار فان الانسان الوحيد الذي ترغم على ملازمته هو ابنة زوجها انصاف .

ما أرشق قوام انصاف ! انها بفستانها الابيض الانيق شبيهة بزنبقة متفتحة منحنية على ساقها ومبتهجة بفتحتها الى الارض . هي وحيدة وان كان لها أب وزوجة أب ، ومنقبضة الصدر وان كانت متفتحة الشباب . انها في حاجة الى زوج يضمها الى صدره ويقول لها : « حبيبتي » ، ولكنها لا ترى احدا اثناء النهار سوى فردوس زوجة أبيها .

— اما أنا أو أنت . سأطلع والدك على ما جرى بيننا . سأطلعه على كل شيء .

(سانبئه بان الحياة معك لا تطاق . فاما ان اخرج انا من الدار او تخرجين أنت منها) .

— لست ادري كيف تزوجك أبي . انك لست جديرة به .

(رحم الله أمي ! لقد كان يعبدها حبا ويؤثرها على جميع النساء) .

— ان والدك معجب بي . انه يحبني وأنا احبه .

(ما دخولك بيننا ايتها المفسدة الثرثارة ؟)

— كلا . كلا . ان المرأة الوحيدة التي أحبها في حياته هي أمي ، رحمها الله ! أين امي اللبقة الذكية الدمثة الاخلاق من امرأة مجردة من هذه المزايا ؟

(لو انني في مكان ابي لركلتك برجلي) .

— اغلقي فمك ايتها الوقحة الحمقاء ! لو ان اباك لا يحبني لما رضي ان اعايشه وأقيم معه في هذه الدار .

(انك طفلة لا تفهمين في هذه الامور) .

(اصوات من الداخل : انقذوني من هذه المرأة الملعونة . هل هذا جمال ؟ هذا سم يقطر من زهرة جميلة . انا لا استطيع أن أعيش مع زوجة ابي . انها تبغضني . انها تستبد بي ، حتى متى الحياة معها ؟)

(منظر في الداخل : تهجم انصاف على

بقلم عبد الحميد الانشاصي

زوجة ابيها ، وتمسك بشعر رأسها ثم تجذبها اليها في قوة وسرعة ، فتسقط على الارض ، وتلقي انصاف نفسها عليها صافعة ضاربة) .

(اصوات من الداخل : أنا لا أطيق الحياة مع هذه الفتاة الطائشة العنيدة . انها تبغضني وتغار مني . لا شك انها تحسدني على الحياة السعيدة التي أحياها مع أبيها . أريد ان يضربها ابوها أمامي على مرأى مني . ليتني أقوى على ضربها واهانتها ! اذن لحطمتها) .

(منظر في الداخل : تقف فردوس وهي تلقي على ابنة زوجها نظرة شامتة ، بينما يصفع سعيد ابنته في قوة عصبية ترغمها على الصياح والبكاء) .



حينما دخل سعيد الدار استقبلته فردوس بوجهها الفاتن المبتسم الخالي من سمات التفكير والكآبة كأنها كانت طول الوقت في انتظاره وكأنها لا تريد من الدنيا شيئا سوى رضاه . ولما وقع نظره على وجهها وأجاله في آيات جماله الاخاذ نسي منغصات عمله وشعر بغبطة وارتياح يسريان في نفسه وجسمه . أمامه وجه زوجته البسام الذي تنعكس عليه صور الدنيا وهي في أحسن حال ونعيم الله وهناء الايام . ومن شدة اعجابه بها طوق خصرها بيده ، وسار بها في مدخل الدار على مهل بينما كانت ابنته تجلو الاواني في المطبخ . ثم ان الزوجين جلسا في غرفة الاستقبال يتحدثان . كانت الكلمات القاسية المرة تتدفق من ثغر فردوس الصغير الحلو . وكان التقطيب محاصرا عينيها الواسعتين الساحرتين . فعز على سعيد ان تشوه محاسن زوجته من أجل شيء بسيط . انها تشكو ابنته اليه . أمر تافه . ببضع كلمات منه تؤدب الفتاة الثائرة وترضى الزوجة الشاكية .

وكانت انصاف تتسمع . لقد زحفت بضع كلمات شبه مسموعة في أذنيها ، فانتبهت وتوقفت عن العمل قليلا مرهفة السمع لكي تتمكن من فهم الحديث الذي يدور بين أبيها وزوجته . فهمت كل شيء . كادت تنفجر ضيقا من المتحدثين — من فردوس المبالغة ومن ابيها المساير . شعرت انها مظلومة وحيدة فأحست بسكين الحزن تحز في حنجرتها .

— لا يا انصاف . ان فردوس في منزلة أمك . لذا ينبغي لك ان تسايريها وتحترميها. انها طيبة القلب وتتمنى لك كل خير .

(لا أريد أن أسمع من فردوس مرة ثانية انها متضايقة منك . انك فتاة عاقلة وخبيرة بالحياة ، فلا تكدري عليها صفو حياتها) .

— أبي ! انها تستعبدني وتنظر الي نظرة السيدة الى الخادمة . وهذا ما لا يمكنني احتماله .

(انها امرأة غريبة . ويجب ان تقف الى جانبي وتوبخها على سوء تصرفها) .

نظرة شزراء من سعيد ، وتألم من انصاف ، وتسخط من فردوس .

قال سعيد لابنته بنغمة منتهرة :

— انني لا أريد ان أسمع منك هذا الكلام!

وقالت فردوس مكفهرة الوجه لزوجها :

— اعكس كلامها يصبح صحيحا .

(ان فمها في حاجة الى صفعة قوية) .

وقال الاب عابسا لانصاف :

— أتكذبين علي ؟

(متى تعلمت الكذب ؟) .

وقالت الزوجة :

ـ انها بارعة في تلفيق الكلام .
(هل من المعقول ان يصدقك ويكذبني يا غبية ؟) .
وقال سعيد لابنته آمرا :
ـ يجب ان تطيعيها في كل امر . أفاهمة انت ؟
نظرة شامتة من فردوس ، ونظرة ساخطة من سعيد ، ونظرة هاربة من انصاف .
شعرت انصاف ان والدها وزوجته متآمران عليها وأنها في حاجة شديدة الى من يغيثها وينقذها منهما ، فقالت بصوت مرتعش ثائر :
ـ الا تصدقني يا أبي ؟ انني اقول الحقيقة . ألا تصدقني ؟
ثم ولتهما ظهرها ، وخرجت من غرفة الاستقبال باكية .

✶

هناك موئل يمكنها ان تلجأ اليه ـ خالها يوسف . انه رجل شهم لطيف في معاملته . ان اباها شيخ قد ولى شبابه بحزمه وصرامته وشبابه ، ورسب في قلبه فتور الشيخوخة وضعفها وهدوئها . يعز عليه ان يفقد وجه زوجته الفاتن لقاء الاحتفاظ بابنته المتزمتة العنيدة . انه يشعر ان زوجته تضحي بشبابها وجمالها وآمالها وامانيها من اجل شيخ لا ينسجم معها في حياتها . لذا لم يجد بدا من ان يضحي بسعادة ابنته وهنائها لقاء ما بذلته زوجته من تضحية . ولكن خالها ينتمي الى عالم محايد . فلا بد ان يصغي اليها ويهتم بها ويأويها تحت جناح عطفه .
ـ انهما متآمران بي يا خالي . انني لا استطيع ان أعيش معهما . كأن أبي غريب عني وكان منزله ليس منزلي انا ايضا .
(اريد ان اعيش معك في منزلك ، انك خير لي من أبي) .
ـ يمكنك ان تقيمي في منزلي يا بنيتي . ما دمت لا تجدين الراحة والاستقرار هناك فخير لك ان تعيشي في منزلي .
(ان تلك المرأة المائعة خلبت عقل ابيك . لو انه واسع العقل رحيم القلب لداس جمالها بقدمه ووضعك على رأسه) .
ـ اشكرك يا خالي ! هذه انسانية منك .
(اين خالي الكريم اللطيف من أبي الضعيف الخاضع ؟) .
ـ هذا واجب علي يا بنيتي . أؤكد لك انك ستعيشين مع زوجتي وبناتي في هناء وسلام.
(ان والدك لا يستحق ابنة حاذقة ذكية مثلك) .
كانت انصاف ساعتئذ احوج ما تكون الى عالم غير العالم الذي تعودت العيش فيه . تريد ان ترى وتحادث رجلا غير ابيها ، وان تعمل مع امرأة غير زوجته ، وان تأكل وتشرب وتنام في منزل غير منزل أبيها . وهي على استعداد لان تتحمل آلاما غير الآلام الفادحة التي سببها لها والدها وزوجته ، وان تسمع من ثقيل القول غير الكلام القارص الذي سمعته منهما . ليكن ما هو كائن . كل همها ان تعيش في عالم آخر .

✶

لاول مرة يحتك نظرها بنظر شاب انيق المظهر جذاب الرجولة . احتكت النظرات فأحدثت برقا في قلبين . نادته بعينيها لينقذها من عالمها المشؤوم . وناداها بعينيه لتحقق أماني شبابه . تكرر اللقاء . كانت حياتها من قبل ضغطا وكبتا وثورة والان اصبحت حياتها حرية وحبا واملا .
« خالي ! انني أحبه . أريده زوجا . فهمي لطيف ودمث الاخلاق . ـ كيف عرفت



عبد الحميد الانشاصي

●

ذلك يا بنيتي ؟ هل حادثته ؟ ـ قلبي حدثني بذلك يا خالي . قلبي لا يكذبني . انني احبه يا خالي . ـ لا بد ان تتأكدي انه يصلح لك زوجا . ـ انني اشعر بانه خير الشبان واصلحهم زوجا لي . اريده ان يخطبني اليك يا خالي . ـ ليخطبك الى ابيك يا بنيتي . لا يحق لي ان اقوم مقام والدك في هذا الامر . ـ ولكنني لا استطيع ان افاتح أبي بهذا الشان . انك تعلم ما بيني وبينه من خلاف . انا لا احتمل مرارة العودة اليه . ـ لا بد من ذلك يا بنيتي . تحملي ذل الخضوع لكي تفوزين بمطلبك . انك متى تزوجت ذلك الشاب استرحت » .

✶

ـ ما رأيك يا فردوس ؟ هل يصلح فهمي زوجا لانصاف ؟
(أرى ان أزوجها به فتستريح وتريح) .
ـ لا ، لا ، لا يا سعيد . انه لا يصلح لها زوجا . محال ان ينسجم معها في الحياة الزوجية .
(يجب ان تبقى في المنزل لتساعدني في القيام بالاعمال المنزلية والا هلكت من كثرة الاعمال اليومية) .
ـ لماذا ؟
(أنا لا أجد مانعا في ذلك) .
ضيقت فردوس عينيها ، ثم قالت بنغمة فيها ناقوس التنبيه :
ـ واكنه سكير . وفضلا عن ذلك فهو يلعب القمار .
(لقد تغلبت عليك وعليها الان) .
فقال سعيد بصوت منخفض فاتر :
ـ من اعلمك بذلك ؟
(أنا لا اصدق هذا . ولكن ما حيلتي فيه ؟) .
ـ لقد سمعت الكثير عن ذلك الشاب الطائش . أؤكد لك .

✶

ـ اسمعي يا انصاف ! ان اباك في حاجة اليك والى خدماتك في المنزل .
(محال ان ادعك تتزوجين بفهمي) .
ـ وما حاجة أبي الي وأنت موجودة في المنزل ؟
(انك زوجته . انت مسؤولة عن الاعمال المنزلية) .
ـ انني لا استطيع ان اقوم بالعمل وحدي. أفاهمة أنت ؟ ان أصررت على التزوج بذلك الشاب تركت المنزل لك ولأبيك . انني لا أريد أن أقضي حياتي في الكد والتعب .
تبادلت فردوس وانصاف نظرة صاعقة منذرة . انها الفرصة الوحيدة التي يمكن انصاف فيها ان تغير مجرى حياتها . ان تركت تلك الفرصة تمر بسلام قضي على أملها في الزواج وفي الاستقلال في حياتها . نظرة فردوس تحمل انذارا بترك الدار لزوجها ولابنته . ونظرة انصاف تحمل انذارا بترك الدار لابيها ولزوجته وبالفرار مع حبيبها فهمي .
(أصوات من الداخل : ايتها المجرمة ! ايتها الظالمة ! لا بد من قتلك يا فردوس . لا استريح الا بقتلك) .
(منظر في الداخل : تغمد انصاف في أحشاء زوجة ابيها خنجرا حادا ثم تفر مع حبيبها) .

✶

ما أسوأ اختيارك يا بنيتي ! لقد اخترت احط الشبان خلقا وألأمهم طبعا لاتخاذه زوجا.
(كيف أحببت ذلك الشاب السافل ؟) .

الوردة المجنحة

يا مرحبا بشقيقة الغصن … بفراشة خلابة الحسن
فكأنها للعطر مدهنة … شفافة كزجاجة الـدن
بجناحها الخفاق كم بهرت … عيني وكم خلبت نهى ذهني !
فجناحها والنور حبره … كم فيه من لون ومن فن ...
جاءت تبشرني بساحرتي … وقدومها فنفت شجى حزني !
أفراشتي أنت رسالتها … مكتوبة بأنامل الجن ..
قولي لها ما زلت أعشقها … كذب العذول بما وشى عني ! .
عودي اليها والثمي فمها … وخذي اليها مهجتي مني ..
تلك التي في القلب صورتها … مرسومة بيراعة الجفن
حاولت لمسك طرت من جزع … فرجعت أقرع نادما سني !
يا وردة خلقت مجنحة … حطت وطارت .. من على الغصن !

زحلة ـ لبنان … رياض معلوف

ـ لا تصفه بتلك الاوصاف التي لا تتلاءم مع أخلاقه يا أبي .

فقال سعيد بنغمة منتهرة ساخطة :

ـ انني ادرى به منك ، ان شابا سكيرا يقضي أوقاته في لعب القمار لا يصلح لك زوجا .

(ان هذا الرجل يلوث شرف الاسرة) .

ـ هيه ! من أنباك بذلك ؟ انها اشاعات كاذبة يا ابي . لا تصدق ما يشاع عنه . انه شاب حميد السيرة دمث الاخلاق .

ـ اسكتي ! انسيه ! لا تفكري فيه .

ـ انا أعلم من انباك بذلك . فردوس ، زوجتك . أليس كذلك ؟ انها كاذبة . لا تصدقها . غرضها ان ابقى بجانبها لاساعدها على القيام بالاعمال المنزلية .

(سأتزوج بفهمي على الرغم من جميع العقبات التي تعترض سبيلي) .

كانت انصاف تتكلم ووالدها جامد في مكانه يفكر . لقد غاص بعض السخط من وجهه . لم يصدق ما قالته له ابنته ، ولكنه شك فيما قالته له زوجته . ومع ذلك فقد شعر انه ليس في امكانه ان يعصي لزوجته امرا ، لا بد من النزول على رغبتها والعمل بما تقوله له والا فارقته وحرمته جلاوة الجمال وبهجة الشباب اللتين تتحلى بهما ويتمتع هو بهما .

★

تعالي الي يا انصاف . لا تكترثي لابيك وزوجته ، سيري معي ولا تصغي الى أقوالهما . أنت أدرى بمنفعتك .

(كوني جريئة قوية وسيري معي) .

ـ ولكن الناس سيشيعون عني وعنك ما لا تود سماعه .

(انني أحبك ولا أستطيع مفارقتك واهمال مطالبك . أود من صميم قلبي ان اسير معك دون ان أكترث لأبي ولزوجته) .

ـ مدي يدك ! هاتي يدك !

(ان يدك قريبة من يدي) .

قال ذلك في ابتسام ونظرة مشجعة .

ـ لا ، لا . لا أستطيع . لا بد من أخذ موافقة والدي قبل كل شيء .

(خذني أنت من يدي وسر بي) .

قالت ذلك بنغمة رخوة موسيقية مغرية .

فقال فهمي متكلفا السخط :

ـ ان لم تجيبيني الى طلبتي انصرفت عنك .

ولكنها لزمت الصمت ، ومضى هو في سبيله .

★

ـ احبه يا أبي .

ـ لا أستطيع ان أزوجك به يا بنيتي .

ـ أحبه يا خالتي .

ـ لا ، لا . محال ان يتزوجك .

ـ احبه يا خالي .

ـ ليت امر زواجك بيدي .

ـ تعالي يا حبيبتي انصاف . لنذهب الى منزلي .

ـ نهرب ؟

ـ كلا . اننا على حق ، فكيف نهرب ؟ هم الذين يهربون . أولئك الذين يحولون بيننا وبين الزواج . انهم على باطل فهم الهاربون .

ـ هل تظن ذلك ؟

(أصوات من الداخل : تعال الي يا فهمي ! لا تتركني وحيدة . انني احبك يا حياتي . لا استطيع ان أعيش من دونك . انك في نظري خلاصة ما تحتوي عليه الدنيا من بهجة وسرور ونعيم . اني ذاهبة معك) .

(منظر من الداخل : تضع يدها في يد حبيبها ، ويسيران بين صفين من اشجار حديقة حافلة بالوان شتى من الاشجار والازهار ، ويأخذان في التحدث عن هواهما وعن سعادتهما المقبلة بينما تتنقل الطيور بين الاغصان قافزة مفردة) .

وفي ذات ليلة انتظر سعيد وزوجته انصاف وكانت قد خرجت من المنزل لزيارة جارة لها ، ولكنها لم تعد . لقد باتت تلك الليلة مع زوجها .

عمان … عبد الحميد الانشاصي

قيمة التصوف العقلي

بقلم ندره اليازجي

* * *



اردت ان احيا طوال حياتي في احضان الطبيعة ، في قرية جميلة تحيط بها الغابات وتغدق عليها الطبيعة بجمالها الخلاب ، واردت ايضا ان احصل من الطبيعة اجمل واعذب ما فيها ، واقنعت نفسي ان استيقظ باكرا لاشاهد عذوبة الكون قبل الشروق وانظر الى الافق لارافق الشمس وهي تودع النهار .. وتأكدت ان الانسان يحيا مع النهار اذا رافق الشروق ويبتهج بالغروب اذا شعر بوجدانية الوجود وسعادة الحياة .

ولا تزال هذه الافكار تراودني . واشعر بعض الاحيان انني احيا في سجن يسمى المدينة . فالبيوت مزدحمة والشوارع ضيقة والاجواء خانقة وينقصها النقاء . ويسعى الناس للسكن في حجرات ضيقة ترتفع اسعارها كلما زادت المنافسة والطلب ، وترتفع اسعار الارض ويتباهى الناس بالاثمان المرتفعة ويحرم الكثير من المعيشة .

تراودني هذه الافكار فأتخيل الريف وجماله وعذوبته . هناك لا ترتفع اسعار الارض حتى تقضي على كرامة الانسان ، ولا يحيا المرء وسط الضجيج ، ولا يفتش عن عمل لكي يدفع قيمته في الايجار والغذاء ، ولا يشقى الانسان كثيرا ولا يقضي عليه الضجر والسأم . ان الطبيعة ملاذ الانسان لانها تتعاطف معه ويتعاطف معها . فهو يتأمل الجمال فيغتبط ويتنشق الهواء العليل فيسر ، ويسير في الاماكن الحلوة ولا يتعب ويطلب القليل ولا يثقل نفسه بالهموم . هذه الامور كلها دفعتني ان التجأ الى الطبيعة لأحيا فيها حياة نقية .

تأصلت رغبتي هذه وترعرعت مع نزعة الانفراد وحب العزلة . وقد بررت عزلتي واعتقد انني اكون قريبا من نفسي وحقيقتي . واصبحت ابتعد عن المجتمعات وافضل الوحدة لكي اخلو الى تفكيري ، بل ليكون تفكيري نقيا وصافيا . ان رغبتي نشأت من هذه القيم التي حددت فيها وجودي . ولكنني بقيت قلقا ومثقلا بهم لا يبارحني . وتساءلت عن قيمة الانسان لو اراد ان يحيا لوحده وينقطع الى العزلة ، وعلمت ان العزلة جميلة وعظيمة ، تقود الى التأمل والتفكير وتصحيح الاخطاء العديدة وتساعد على ارتقاء درجات الفضيلة وتعمل على اضفاء صفة الكرم النفسي وتزين الانسان بشعارات جميلة كالمحبة والسعادة والقناعة . ولكنني علمت ايضا ان العزلة تبعدني عن الذين احيا معهم وتجعلني انفرد بتفكيري والا اشارك غيري به .

وامام هذين الرايين وقفت حائرا ، تصارعني افكاري حتى اصبحت في فوضى عقلية واضطراب نفسي . فانا في مجتمع لا يحقق امكانيات الفرد ولا يهذب قيمة الروحية . واخاف ان اضيع وان اقع في التجارب على الرغم من صلابة ارادتي . واخاف ان انتزع لقمة عيشي بوسائل لا ترضي الضمير والوجدان كما اخاف ان انقاد بعض الاحيان لمشيئة اناس يظهرون لي كرمهم بشكل اجتماعي تام . فتكون مسايرتي عندئذ عملا من اعمال التعاطف ، فأقع فريسة للقلق .

حولت وجهي عن المجتمع لكنني التفت اليه مرة اخرى . وحدثتني نفسي قائلة ان الانسان قد وجد في المجتمع وعليه ان يقدم له ويعطيه . لكن خوفي ظل عالقا بي ولم استطع ان ابعده عني ، وتصورت كل مشكلة تعترضني وانا اقوم بواجبي الاجتماعي ، كما تصورت الآلام التي تنتج عن مثل هذه الامور .

اراني اكتب عن التصوف العقلي الذي اتخذت منه شعارا . فانا لا احقق العزلة من جراء تصوفي هذا كما لا اصرف عني كل عمل اجتماعي او احقر قيم غيري . انا الان بين العزلة والاجتماع اتحدث الى الناس عن الحقيقة واضفي عليها طابع الوجدان والروح . وفي عملي هذا لا انقاد انقياد الاعمى فاوافق على آرائهم التي يمكن ان تعبر عن ميول لا واعية او تصرفات خاصة . واشارك الناس عواطفهم ولكنني احاول ان احدثهم عن الواجب وعن عظمة الانسان . واستمع الى مبادئهم ولكنني اعمل على تقويم المبادىء التي تقوم على الهوى دون العقل . واقرأ كتبهم لكي افهم وادرك افكار غيري واعرف مدى تطبيقها ومدى صدقها ومدى تعاطفي معها وخيرها وقيمتها ، واستمع الى مشاكل من يأتون الي فاقدم لهم محبتي ونصحي عاملا على اضفاء صفة الخير والحق .

وما زلت اتعرض للارهاق والانهاك . ما زلت عاجزا عن اخضاع النزوات الاجتماعية بشكل عام . اتمنى لو كنت احقق وحدتي ولكنني اعلم ان الانسان لا يستطيع ان يعيش بمعزل عن الاخرين . واذا بقيت بعض الانعكاسات في داخلي فباستطاعتي ان ازيلها بمزيد من الارادة والتفكير ، ومن واجبي ان اتحمل هذا الارهاق لان التفكير الانساني يسمو على كل عمل آخر .

الآن اعلم ان التصوف العقلي يتضمن كل ما تحدثت عنه ، ويهذب روحي ويسمو بعقلي الى درجات عليا . وكمتصوف عقلي اقبل الحقيقة مهما كان نوعها او جنسها او لونها ، وافتح قلبي لانواع المحبة الانسانية فاتقبل كل جمال وخير وحق ، وينصب في ، الانا ، كل خير في العالم ولا اكون مغلقا بل افتح ابواب عقلي لكل حكمة

وصواب .

علمتني تجربتي في الحياة ان الحقيقة تبدو باشكال متعددة . فكما ان النور ينفذ من خلال النوافذ ، وكما يتشتت الضياء في اتجاهات مختلفة ، وكما يسيل الماء عندما نصبه في متعرجات مختلفة وفقا للارض التي سكب فيها ، وكما تهب الرياح في اوقاتها ، هكذا تضيء المواهب وتتنوع الفلسفات وتزهو الحياة باشعة العقل ، وتزدهي الديانات باقوالها الحكيمة ، وتزدهر الحضارات بالافكار العديدة ، ويقدم الناس نتاج عقولهم وثمرة اعمالهم ودفء عواطفهم وعمق شعورهم . واراني اتقبل كل هذه المظاهر لانها موجودة عندي ان عقلي يحتوي كل شيء يعقله غيري . لذلك يصبح مركزا للبحث عن الحقيقة وتقبلها في آن واحد .

اصبح عقلي ، بعد تصوفي هذا مركزا للوجود ، فهو يتجول في عوالم الفكر كلها ويتقبل منها ما ينسجم مع حقيقته . واصبحت الان ، من خلال تصوفي ، قلب الحياة لانها تتركز فيه بدقة ونظام . وكما تقبل الانا الحقيقة كذلك تعطيها وتقدمها الى الآخرين . وتتعرف الانا على ذاتها بشكل افضل عندما تسير على طريق التصوف العقلي لانها ترى جوانب الموضوع كلها ولا تحكم عن جهل .

توصلت الى هذه الحقيقة التي ارتاح لها الآن . ان الارادة التي تعتمد عليها الانا تعمل ناشطة . فهي معي والى جانبي ، وترسل خيوط تأملها ونورها الى الموضوع وترى بعين البصيرة ما يتشكل امامها ، فلا تضيع ولا تصبح فريسة للضيق والجهل بل تحاكم وتدعو اعضاء محكمة الوجدان للانعقاد . ويسرع الوجدان عندئذ ليلبي دعوة العقل .

اصبحت واثقا ، لدرجة ما ، ان حكم الوجدان وقضاءه عادل ودقيق . فعندما احاكم جيدا اصل الى الحقيقة . وقد تألمت كثيرا عندما كنت اجهل كيف اعرف الحقيقة او احددها . اما عندما تصوفت عقليا علمت انها القرار الذي اصل اليه بعد محاكمة عقلية وجدانية . ان المحاكمة العقلية هي مبدأ الارادة وفعلها والمحاكمة الوجدانية هي مبدأ الروح . ولا يمكن ان تفشل المحاكمتان معا . وعندما تعترض العقل صعوبات الحياة ومآسيها ، ويتحول هذا العقل عن المحاكمة الصالحة والمجدية ، ينقذه الوجدان ، وهكذا لا يضيع الانسان طالما ان الروح تقدم له الوجدان كما تقدم له الانا العقل .

هكذا اصبحت مدركا لكياني عن طريق تصوفي العقلي. تؤازرني الروح من جهة ويثبتني العقل من جهة ثانية . وتجتمع طاقتان عظيمتان في فتصعد الانا من تفكيري وتسمو به حتى تبلغ درجة الوجدان . ويعمل كياني على اساس حقيقي ، متحد في قطبيه المادي والروحي . ويتم التصوف العقلي نتيجة لهذا التعاطف بين الوجدان والعقل .

وقد انقذني التصوف العقلي من مآس عديدة . فعلمت ان كل ما يتراءى لي من مجد اجتماعي واقتناء مال ليس الا عمل الذات في مادتها . ولا تصدر هذه الافعال عن كيانها بعد محاكمة عقلية ووجدانية بل عن دوافع وشهوات ، فابتعدت عن كل ما يمكن ان يوقعني في حبائل الطمع والاغراء وذلك لكي ابقى نقيا قدر ما استطيع كما اصبحت لا انقاد للافكار والمبادىء التي اسمع بها واقرأها انقيادا اعمى بل بدأت ادرسها في تعمق وبصيرة كما انني ما عدت اذكر مساوىء انسان بل حسناته . انظر الى كل شيء نظرة تعاطف وود . فماتت النواحي السيئة في نظري وعاشت الفضائل . وبدا لي الكون مكانا وزمانا عظيمين ينتقل فيهما عقلي ووجداني وتعمل فيهما بصيرتي ببطء وهدوء . واخضعت كل شيء للملكة التفكير . فصرت متصوفا عقليا .

وجدت ، بالاضافة الى ما ذكرت ، ان التصوف العقلي يقودني الى المعرفة . فانا في بحث دائم ومستمر واريد ان اعرف . وامسى عقلي حقلا واسعا للدراسة والتجارب لانني حددت وجودي بالمعرفة . وعقلت الحقيقة التالية : وجد الانسان ليعرف وطالما ان الكون كله يتمثل فيه فقد وجد اذن ليعرف نفسه . ولا تتيسر معرفة النفس ولا تتحقق الا بالتساؤل الدائم والتأمل . لذلك ارسلت عقلي في كل الاتجاهات لكي يقف امام الطبيعة ويدرس الموضوعات . وعلمت ان العقل يصل الى الحقائق الخارجية الملموسة بسهولة اكثر من حقيقة الانا غير الملموسة . وهكذا اصبح موقفي من الوجود موقفا عقليا ، محللا لكل مسألة كبيرة او صغيرة . وعلمت ان تصوفي هذا لا يتم من خلال مواقفي العقلية وحدها . فادخلت الوجدان الى حقل تجاربي .

وعندما توصلت الى تصوفي هذا اصبحت لا ابالي اينما كنت . فلا فرق عندي ان كنت في المدينة او في الريف ، في نظام اجتماعي يتباين مع نظام آخر . اصبحت لا ابالي بالنظم الاجتماعية المتباينة اذ علمت ان باستطاعة الانسان ان يحقق وجوده في ظل اي نظام وذلك لانه انسان له عقله ووجدانه ولا يزال يستعملهما لأنبل غاية هي المعرفة . وهكذا يستطيع الانسان ان يحقق المعرفة والحقيقة بمعزل عن كل الظروف الاجتماعية التي تحيط به .

وقادني تصوفي العقلي الى ادراك الحياة دون المعيشة . فالحياة تدرك في كل نظام اجتماعي . وصرت اعلم ان قيمتي لا تتوقف على مقدار ما احققه من نجاح اجتماعي او بمقدار ما آكل واشرب او بالمركز الذي احتله ، بل يتوقف على عظمة عقلي او وجداني . واصبحت المعيشة شيئا بسيطا ، والحياة شيئا عظيما . وهكذا يغوص عقلي في فضاء الحياة الواسع ، الحياة التي تعبر عن الكيف ، فرفضت مبدأ الكم اي المعيشة .

سمراء

سمراء يا دنيا تعج بسحرهـا ... وهوى يعيث بمغربـي وبمشرقـي
انت الجمال يجـر فـي اذيالـه ... سقـم العواطف والهيام المحـرق
في كل جـزء من دمائي ثـورة ... وبكـل عـرق آهـة لـم تهـرق
وبكـل ذرة دمعـة لمـا تـزل ... حـرى تحـوم بجفنهـا المغرورق
آلام محزون ورعشـة ناحـل ... وحنين حـران ولهفـة شيـق
يترصد المـوت المريب لخافقـي ... فيهز اعضائـي ويلهب أعرقـي
حتـى أثور والف حـرف غاضب ... يحتج في بـاب الشفاه المغلـق
فاعيد اوهامي واخمد ثورتـي ... واعيش احلامـي التي لـم تورق
واظل ابحر في عيونـك بعدمـا ... ضاعت مجاذيفي وحطـم زورقي

* * *

فتانـة العينين يـا وحي الصبـا ... وتضاحك الانـوار عنـد المشرق
اني ارى رغـم الجفـاء توسـلا ... يصحو على فمك الذليل المطبـق
وارى بعينـك لهفـة فكانهـا ... ترجو ويمنعها الحياء فتتقـي
لا لست مخفيـة هـواك فقد بدا ... كل الهـوى في جسمك المتانـق
لفتاتنا الحيـرى تبوح بسرنـا ... ولقاؤنـا عمـدا !! لماذا نلتقـي ؟
عبثـا نخادع بعضنا فتجملـي ... ، سمراء يكفينا جوى ، وترفقي

بعقوبة ــ العراق — سفيان الخزرجي

وادركت ان الحكمة هي انبل ما يمكن ان يفتش عنه الانسان كما علمت ان هذه الحكمة لا تخرج عن اطـار التصوف العقلي . وهكذا اصبحت الانا التي تحيـا في عزوفة عن مبادىء يعتبرها الناس من مقومات الحياة اذ اعتبرتها من مقومات المعيشة فقط .

وعملت على تربية شخصيتي اي كياني . وتعتبر هذه التربية قيمة لانها تقيم توازنا بين الروح والجسد وترفع هذا الاخير الى معرفة الحقيقة ، هذه المعرفـة التي هي قوام الوجدان . ان تربيتي الشخصية لا تتطلب الكثير من المعيشة بل القليل منها ، ولا يعتمد صقـل ملكاتي على ما هو اجتماعي او على ما ينطبق مـن مفاهيم مادية بحتة ، بل على الارادة التي تأخذ من الحياة مـا يوافق الطبيعة الروحية .

هكذا قصدت ان احيا في عالم تطغي فيه الميـول اللاواعية حيث يقبع الوجدان في زاوية مهجورة . وبدأت ارفع من مستوى وجودي في مراحل ثلاث :

آ ــ في المرحلة الاولى ابعدت عني كل فعل يقوم على اللاوعي وحاولت ان اكون واعيا لمصيري .

ب ــ وفي المرحلة الثانية وجهت اضواء عقلي التـي اعبر عنها بالمواهب نحو كل فعل اقوم به ، فتوصلت الـى المحاكمة العقلية .

جـ ــ وفي المرحلة الثالثة تعلقت بالوجدان لكي يكون رائدي الوحيد في عالم الطبيعة والعقل .

ورأت ان هذه المراحل الثلاث تقودني الى المعزفـة وذلك لانني ، بتوجيهي نحو دوافعي اللا واعية التي تمثل الحيوان في ، ازلت اثار الفريزة . وبتوجيهي الى العقل لكي يدير وجودي توصلت الى التحكـم في مادتـي ، وبتوجيهي الى الوجدان توصلت الى رفع مستوى وجودي من الذات الى الروح .

هذه هي الصوفية العقلية التي اعتنقها لكي أبدد ظلام حياتي واحولها الى نور يضيء ارجاء كياني . فعندما سلطت انوار عقلي ووجداني على الكون المادي تراءت لـي الحقيقة وعرفت طريقي وهدفي وبدت الامور امامـي جميلة وخيرة . رأيت الحياة جميلة لانها تعبر عن فكـرة ابدية سامية غاية السمو ، مترفعة عن الخطأ ، عليمـة ومدركة لكل ما يكون . وبدأت عندئذ احدد موقفي مـن هذه الفكرة ، فوجدت ان التصرف العقلي هو منهجـي الوحيـد .

دمشق — ندره اليازجي



الدكتور محمد رجب البيومي

شكري يتحدث عن الادب العربي

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

حين قام عبد الرحمن شكري بدعوته التجديدية في الشعر المعاصر ، لم يكن ليميل بالغبن على الشعر القديم بل ارسل بحوثه الضافية في تحليله وتشريحه ، واتسعت شقة الخلف بينه وبين معارضيه دون أن يجنح الى شطط او اسراف ، وكانت معركة القديم والجديد التي خاضها زعماء النقد المصري المعاصر دافعا قويا لنشاطه النقدي على أنه كان في اكثر أحواله متصوفا في ردوده العميقة المتتابعة ، فلم يكشف النقاب عن اسمه ، بل رمز اليه رمزا متواضعا لا يدركه غير ذوي البصر بأسلوبه ومنازعه، ويزداد تصوفه في رأيك شفافية ونقاء حين تعلم أنه كان بردوده الحاسمة يدافع عن اناس غبنوه حقه ، وبخسوه استاذيته ، واندفعوا الى التشهير به اندفاعا تتألم له العواطف النبيلة ، ولكن ذلك كله لا يمنعه في تصوفه الزاهد المترفع ان يعترف بالحق لاصحابه ، وأن يخفي اسمه عن الانظار في مقام يتطاول اليه المتطاولون فيقصرون .

ولن يعز عليك ان تدرك الوازع النفسي الذي دفع الاديب الكبير الى حرب لم يكن من جناتها . ولكنه بنارها محترق صال ، فالاستاذ شكري كما نعرف علم من أعلام التجديد في الشعر العربي ، فاذا اندفع جماعة من الادباء الى تهجين الجديد من الادب فانما يثيرون غبارا تغيم به سماء الشاعر الكبير ، ولا بد من ضياء ساطع يجلو الغياهب ، ويدفع الظنون .

وقد اتجه النقاش في القديم والجديد وجهة منحرفة غير وجهته الطبيعية ، فمزج الدين بالادب مزجا غريبا مريبا وجعل أنصار الجديد لدى بعض الناس ملاحدة مستهترين ، وقوى من هذا الظن ما انحرف اليه بعض الادباء المجددين — وجلهم أدعياء — من تطرف في الزيغ والاستهتار ، فأوقعوا معهم البرءاء موقعا تظلله الريب والاوهام ، وأتاحوا فرصة قوية لانصار القديم كي يهاجموهم بسلاح بتار ، وأكثرهم — في جوهر فنه — بريء صادق يشكو الى ربه مساويء زمرته ، وأضاليل مريديه ، والشكوى لا تفيد شيئا بغير برهان رشيد ، ودفع سديد !

لذلك اتجه الاستاذ شكري ينافح عن مذهبه ويذود عن جديده ، وقد رأى في مقالات الاستاذ الجليل والباحث المفضال محمد أحمد الغمراوي عن الجديد والقديم بمجلة الرسالة سنة ١٩٣٨ ، سنة ١٩٣٩ مجالا فسيحا للمناقشة وابداء الرأي ، فتعقب أفكارها ، وعارض اهدافها ، دون ان يزل به قدمه الى استخفاف او تعريض ، وسنقدم من كلام الاستاذ الغمراوي ما يكفي لاعلان مذهبه ، وتوضيح فكرته ، ثم نلخص ردود الاستاذ شكري تلخيصا مقتضبا يرسم الملامح ويضع الخطوط دون ان يتطرق الى استيعاب مفصل يضيق به المجال .

قال الاستاذ الغمراوي :

« ان المسألة في الأدب مسألة دين وروح ، ففريق يجعل روح الادب شهوانيا بحتا ، يتمتع صاحبه بما حرم الله وما احل ، لا يفرق بين معروف ومنكر ،ثم يصف ما يلقى في ذلك من لذة والم او غيرهما من الوان الشعور ، ويخرج ذلك للناس على أنه هو الادب ، وفريق يريد ان يحيا الحياة الفاضلة في حدودها الواسعة التي حدها الله وبمظاهرها المختلفة كما فطرها الله ، ويصف ما يتمتع به من تلك وما يلقى او يتجشم في سبيل ذلك ، غير ناس لحظة ان الوجود كله من الله ، وان الدين كله لله ، على أنه الادب ، وأن ادب الفريق الاول هو ما يسمونه بالادب الجديد ، وادب الفريق الثاني هو ما يسمونه بالادب القديم » .

هذا لباب ما قاله الاستاذ الغمراوي وقد أفرغ صفحات كثيرة لتأكيده وتثبيته ونحن مع مخالفتنا اياه ، نحترمه ونجله ، ونعرف انه يصدر في جميع ما يكتب عن عقيدة راسخة ، وايمان مطمئن اخطأ أم أصاب ! وقد رد عليه الاستاذ شكري ردا بليغا منصفا ، تجلت به النظرة الواسعة والعمق البعيد ، فذكر ان النفس البشرية واحدة في كل زمان ومكان مهما اختلفت الفروق الظاهرة من شذوذ الآحاد بالنقاء النادر ، او النجاسة البالغة — على حد تعبيره — وتلك حقيقة يقررها العلم النزيه عن هذه النفس العجيبة ، فلا عجب ان يصدر عنها المجون والنزق،

والسمو والترفع في كل مكان وزمان ، واذا كان الادب صورة للنفس ، فقديمه وجديده سيان في تصوير النقائص والمثيرات ، ولن يمتاز قديم عن حديث بالتصون والاحتشام .

والاستقراء التام لعصور الادب يؤكد ان القديم يطفح بما تضيق به المثل الرفيعة ، ويندى له الخلق النبيل ، فلامرىء القيس وهو من أقدم الشعراء في الجاهلية مجون وفحش تضيق بهما صدور المحافظين ، وقد تواكب بعده خلفاؤه في ميدانه يسفون وينخفضون الى ما لا يرضى عنه الاستاذ الغمراوي ، ولديه اذا أراد مثل كبيرة من أهاجي الفرزدق وجرير وسواغ وبشار وأبي نواس ومطيع بن اياس ، ومتطرفات ابن الرومي وأبي تمام البحتري ، من أئمة الادب القديم ، فكيف يكون هذا الادب بعد ذلك ملاذ التصون والاحتشام ؟ وقد عجت زواخره بأمواج صاخبة تتلاطم بالنزوات والشهوات ، وكيف يكون الادب الاوربي وحده في منطق الاستاذ الغمراوي وشيعته طريق هذه المفاسد ، مع أن أصحاب الادب الجديد ، قد قرأوا الادب العربي قبل ان يقرأوا غيره في لغاته الاجنبية ، وأثر في أذواقهم وميولهم بما لا يوازي به أدب مفترب بعيد .

ثم لماذا نجعل جميع الادب الاوربي في منزلة واحدة ، واتجاه ثابت لا ينحرف عنه ، وقد طرأ عليه من التطورات ما غير سلوكه وعدد مشاربه ، وهو بذلك يقترب من الادب العربي اقترابا واضحا ، فادب الاغريقي كالادب الجاهلي سهولة وخيالا ، والادب الاوربي الحديث أقرب الى الادب العباسي حرية وانطلاقا ، والادب الرمزي الاوربي يقرب كثيرا مما كتبه الاستاذ الرافعي في حديث القمر ، وهو زعيم الادب القديم في العصر الحاضر دون نزاع ! اذا كانت كل هذه المشابهة متوفرة في الادبين المقارنين ، فلماذا نقصر الشر على الادب الاوربي دون سواه . لقد شبه الاستاذ شكري الذين يمقتون الادب الغربي ويحرمونه لمجونه ثم يبيحون لقرائهم ما كتبه الداعرون من شعراء الادب العربي ، بمن يأتمن لصا مصريا على ماله ، ثم يحذر من لص اجنبي ، مع ان النتيجة واحدة في الحالتين ، الا ان عين الرضا كليلة عن كل عيب كما يقال ، ونحن نعجب بهذا التشبيه لانه يوضح رأي صاحبه ، توضيحا يجعله من بدائة المسلمات ، بعد ان كان مجال المجاذبة والمماراة .

وكان طريفا من الاستاذ شكري ان يرجع التجديد في الادب العربي المعاصر لا الى الشعر الاوربي وحده بل الى الشعر العربي القديم ، فالشاعر الجاهلي كان لا يتكلف في صنعة أو يحتفل بصياغة احتفالا مترفا متعمدا ، بل ينظم الشعر بالعاطفة ، ويبحث في خواطر النفس وشجونها بدل التنميق والتجويد ، وهذا ما يفعله الشاعر المعاصر ، اذ تجرد على صور الشعر العباسي ونبذ الصنعة وراء ظهره ، فأولى به ان ينسب في اتجاهه الى الادب العربي القديم لا الى الادب الاوربي الحديث ، وفي بعض هذا الكلام مطابقة للواقع ، كما في بعضه الاخر اسراف ومبالغة ! اذ ان الشاعر القديم مهما استلهم العاطفة ، واستبطن النفس ، فقد كانت خواطره مبعثرة شاردة ، وسوانحه طائرة عابرة ، ولو اعتمد عليه المجددون وحده ما جاوزوه أو قاربوه ، ولكنهم فاقوه قوة وعمقا بما ورثهم الادب الاوربي من تحليل عميق للنوازع ، وتشريح دقيق للاهواء ! فكيف يكون التجديد المعاصر رجعة الى القديم ، اللهم الا اذا اراد الاستاذ شكري ان يقرب المسافة بين العصور المتباعدة في الادب الواحد ببعض التجاوز والتسامح ، عن طريق التشابه الجزئي فقط ، وهذا ما نسلم به في دائرته المحدودة دون شطط او نزوح .

وانت تلمس في ردود الاستاذ شكري ثقافة عميقة متشعبة ، يمدها النظر الصائب والعقل البصير ، وهو يتحفك بالجديد الطريف حين يقرر ان الادب العربي قد فعل بالادب الاوربي في القرون الوسطى ما يفعله الادب الاوروبي بأدبنا المعاصر في القرن العشرين .

فقد كان المحافظون من ادباء المسيحية بأوربا يخشون على الدين والاخلاق من بعض المجون والخلاعة في الشعر العربي حين سرى اليهم عن طريق الترجمة من الاندلس ، ويرون في الادب العربي اباحية خلقية لا تتفق والتقاليد ، فهو كالادب الاغريقي القديم في اعتدائه واجترائه ، ومن ثم حورب الادب العربي من المحافظين اذ ذاك ، ولكنه رغم هذه المحاربة قد مثل دوره ، وادى رسالته في ايقاظ الادب الاوربي ، ثم دارت الدائرة عليه في العصور المتأخرة من دول الممالك المتتابعة والعصر العثماني ، حتى جاء الادب الاوربي يرد له الجميل السالف ، ويعطيه ما سبق ان استولى عليه .

وواضح ان جميع ما ذكره الاستاذ ينتهي الى هدف معين ، وهو أن التجديد شيء والاباحية شيء آخر ، فاذا كان لأنصار الجديد نصيب واضح منها ، فأنصار القديم يحتفظون في تراثهم بأضعاف هذا النصيب ، واذا كان الادب الاوربي قد وفد ببعض الآفات الخلقية على الادب العربي فهو لم يقدم له الجديد الطريف ، ولكنه قدم بضاعة معروفة متداولة فالمسألة في الادب ليست مسألة خلق ودين ، كما يريد الاستاذ الغمراوي أن يقول ، ولكن الادب تعبير عن مشاعر رفيعة او هابطة ، وهي في حالتيها - لا تتقيد بقوم دون قوم ، ولغة دون لغة ، وشكري وقد وصل الى هذه الغاية من دفاعه عن التجديد يستشعر برد الراحة حين يوصد الباب أمام من يظنون في التجديد الادبي ثورة دينية تهب بالزعازع على صرح مدعم مشيد !

على أن الاستاذ يلتفت الى ناحية هامة حين يعلن ان النفاق في الاقوال يجعل من الفاسد العربيد قديسا طاهرا ، فكثيرا من الادباء يخالفون حقائق نفوسهم اذ يمتدحون بالفضيلة ، ويلهجون بالشرف وهم في واقعهم النفسي أبالسة مردة ، لا يميلون الى خير او يعتصمون

بمعروف ، بل ان بعض المتدينين يسرفون في الغيبة والنميمة واسرافا لا يخلو من اللذائذ المشتهاة ، ثم ينظمون القصائد في الدعوة الى الفضائل الرفيعة ، فكيف يحكم الاستاذ الغمراوي على شاعر نظم في الزهد والورع بالمثالية والطهارة ، ويعد مموهاته آية الآيات في الأدب القديم ، وهو لا يصدر عن احساس صادق وشعور مخلص ! لا بد اذن من دراسة مستفيضة لتاريخ الشاعر وسلوكه ثم نفسر أدبه التفسير اللائق بواقعه لنضعه في ميزانه الصحيح !

هذا موجز لبعض آراء الاستاذ شكري في القديم والجديد ، ونحن نعرضها هذا العرض السريع لنلفت الاذهان الى حقائقها الاصيلة ثم لنجعل من منهج الرجل في النقد أسوة يحتذيها النقدة من الكتاب ، فقد ربأ بنفسه عن المهاترة والتزيد ، بل انه يسوق انتقاده الصائب مشفوعا بالثناء على مناظره فيقول عنه مثلا « يجمع الاستاذ الغمراوي في نفسه من صفات الخلق العظيم ما لا يتفق الا لقليل من المهذبين الافاضل ، فهو يغار على الفضيلة والدين ، ويجمع الى غيرته لطف المناظرة والانصاف ، وآداب الحديث والمجادلة بالتي هي أحسن ، وهذه رعاية من الله ، نرجو ان يديم عليه نعمته بها » .

ولن نعلق على هذا الاطراء الصادق بشيء ففيه وحده الكفاء والغناء عن ألف تعليق !

ولنا ان نسأل عن دلالة هذه النظرات الفاحصة لدى شكري ، لنعلن سعة ثقافته العربية ــ على نقيض ما يرجف به عنه ــ اذ كانت دراسة شكري للادب العربي القديم مستوعبة محيطة ، لا يصل اليها كثير ممن يزعمون انفسهم حماة القديم تشدقا وتباهيا دون مثابرة واتقان ، وقد تحدث في مقالاته بالمقتطف والثقافة والرسالة عن قصائد مختارة من القديم في زمن الجاهلية وصدر الاسلام والامويين والعباسيين ، وسنقصر الحديث هنا عما كتبه شكري عن أمراء الشعر في العصر العباسي . لان امراء الادب في العصر العباسي في راي شكري قد بلغوا من الجودة والاصابة ما قصر عنه نظراؤهم من الاقدمين . فلا غرابة اذا اختصهم الشاعر اكثر من غيرهم بالنقد والتحليل . لقد كانت المقارنة سبيل شكري الى الحديث عن الشعراء ، فاذا تحدث عن شاعر كالشريف مثلا عقد مقارنة بينه وبين نظرائه . وجمع في سطور متتابعة اخص سمات هؤلاء النظراء !

ونحن نعتقد ان هذه المقارنات تفيد كثيرا في ايضاح المعالم ، فهي تميز كل شاعر بدلائل تشير اليه ، وتدل على مذهبه ، واذا استقام للقاريء راي محدد في كل أديب يقرأ له ، فقد اصبح قارئا مثقفا له رأيه المؤيد بالمثال والدليل .

فأبو تمام مثلا في راي شكري ــ خطيب عبقري بصير بأساليب البيان ، وأثرها في النفس ، جريء في ابتداع الاقوال خبير بما يعالج ومن يخاطب ، والبحتري ممثل قدير يلوك حلو الكلام ويتأثر به وينتشي بحلاوة الصنعة ، والشريف موسيقي تتذوق فنه بالوجدان والفطرة السليمة . والمتنبي محارب مغامر يغالي في الاعتداد بالنفس ، والتعاظم على العباد ، وابن الرومي مصور رسام يولع بجمال الالوان وبهاء المناظر !

هكذا يقول شكري ، وانت اذا نظرت الى أبي تمام تجده يبلغ صميم القلب ويعصف بالعواطف بما يسوق من ادلة خطابية في تشبيه محكم ، وتعليل شعري ، وكذلك الخطيب المتحمس ذو الجهارة والبيان ، واذا نظرت الى البحتري وجدته يمثل دور الغزل العاشق والمستهام الجريح في نسيبه ، كما يمثل دور النائح المفجوع في مراثيه ، ولم يكن الرجل صادق الصبابة في التشبيب او دامي الاحشاء في الرثاء وانما كان ممثلا ذا قدرة وافتتان، واذا نظرت الى المتنبي سمعت قعقعة السيوف وصليل الرماح ، وعرفت الفتى المغامر الجوال ، واذا قرأت الشريف الرضي بهرك الايقاع الشجي وتواثبت في قلبك نوازع الحنين والاشتياق ، وهذا ما يصنعه الموسيقي الفنان ، أما أن رأيت الصور البديعة في أوصاف ابن الرومي فلن تشك في قدرته على الرسم ، وابداعه في التلوين ! فكأن شكري الناقد قد امتزج بشكري الشاعر فيما أصدر من تشبيه صائب ، يرضي الوجدان ، وتحديد دقيق يمتع العقل ! فاذا اقترن ذلك كله بالامثلة الصادقة من دواوين الشعراء ، فقد اكتملت الصورة الصحيحة ، وبلغ الكاتب ما أراد من التحليل والاستنتاج .

وقد قرأنا عشرات الكتب عن المتنبي لكثير من ائمة البيان ، فما خرجنا بجديد عنه ، ولكن شكري في بحث واحد كتبه عنه كشف فيه عن اسرار غامضة في نفس الشاعر ، ثم اندفع الى تحليل نفسية أبي الطيب تحليلا مبتكرا ، يتدرج فيه الناقد من سلم الى سلم ، حتى يتجه الى أمر كلي مشترك ، ويقف بالقاريء أمام نفوس بشرية معقدة ، تبدي من السلوك المضطرب ، ما يصعب معه التفسير والايضاح ! فشكري ينص على ان سر عظمة المتنبي هو الاعتداد بالنفس ، والاعتزاز بها مع جاذبية البيان المعبر عن ذلك الاعتزاز ، ثم يفسر هذا الاعتداد فيراه مصحوبا لدى المتنبي بكثير من التقحم والفخر والادعاء ، ويرى شكري ان الاعتداد بالنفس قد لا يصحبه الفخر والتطاول كما عند (مونتاني) الكاتب الفرنسي ، ويعقد موازنة طائرة بين الكاتب الاوربي والشاعر العربي ، ثم ينتقل شكري الى مسألة اخرى فيتساءل لماذا يهتم الناس بذوي الاعتداد والتطاول ، دون أصحاب التواضع والانطواء ، ولماذا نقدس اصحاب الاعتداد النفسي ولو كانوا من المجرمين المدمرين ؟ في حين اننا نحارب كثيرين من أهل الفضائل والمزايا الرائعات ! ثم يجيب الكاتب بافاضة وتحليل عن اسئلته ، مستدلا في اجابته بتاريخ المتنبي

صورة الام

« يتمنى ، وقد قرب موته ، ان يغمض عينه على صورة هي صورة أمه التي غدت ترابا »

•

أأغمض جفنـــي علـــى صـــورة
تؤانس روحـي بليلي الطويـل ؟ ..
فهيهـات هيهـات : أمـي غـــدت
هبـــاء ... فمـا أعسر المستحيل !

حلب — علي الناصر

وأبياته ومواقفه ! فاذا ظن القاريء ان المجال قد خلص للادب وحده ، رأى الكاتب في ختام المقال يكر ثانية الى قضية الاعتداد بالنفس ، فيتحدث عمن يقاومون هـــذا الاعتداد في المتكبرين عن بغض وانقباض ، ومن يقاومونه عن حب وتأثر ! حتى ان من العجيب في منطق شكري ان تكون شدة المقاومة الشديدة دليلا على التأثر المفرط البعيد ! وينتهي البحث بالحديث عن مقتل الشاعر وكيف كان اعتداد المتنبي بنفسه سبيل مصرعه واساس مهلكه المبيـــد !

ولا يمكن لغير شكري من الادباء ان يتجه هذا الاتجاه النفسي في الحديث عن الشعراء اذ ان عكوف الرجل على التحليل والاستبطان قد ساقه هذا المساق ، وله منطقه المعقول ، فالشعر أدب صدر عن نفس تحس وتتأثـر ! فلا بد ان نسبر أغوار هذه النفس لنعلم الدوافع ، ونكشف الاعمـاق !

وانت تلمح مذهب الرجل الشعري في نقده الادبي ، كما تلمح مذهبه النفسي سواء بسواء ، فهو يذم المبالغة المقوتة ، وينتقد الكذب المموه ! ويرى ان رسالة الشاعر هي الامانة المخلصة في تصوير النوازع الانسانية تصويرا صادقا لا مبالغة فيه ولا اغراق ، فمهيار مسف اذ يقول :

غار المحبون مـــن ابصار غيرهـم — ضنا وغرت على لميـاء مـن بصري

والبحتري مغالط اذ يقول :

فقل لنسيم الـورد عني فانني — أعاديـك اجـلالا لوجـه نسيم

وذلك لأن المحب لا يغار على حبيبته من بصره اطلاقا كما زعم مهيار ، ولأن الانسان يحب من يذكره بصـورة حبيبته ولا يعاديه كما زعم البحتري ، وذلك النقد الصادق واضح الدلالة علـــى مذهب شكري فـي رفضه المبالغـة والتلفيق ! اذ ان الصدق المخلص اساس الابداع الشعري الاصيل .

وكتابة شكري عن شعراء العصر العباسي من أمثال المتنبي وأبي تمام والبحتري ومهيار والشريف وابن الرومي وغيرهم ممن تحدث عنهم حديثا جذابا ، تعد على ايجازها المحكم ، ضربا من الادب المقارن ، فشكري يتطرق الى الحديث عن أفذاذ من شعراء أوربا لمناسبات قوية ، فقد يكون اشتراك المعنى أو تناقضه بين شاعر عربي وآخر غربي مدعـــاة لتحليل موفق يسوقه الكاتب عفوا دون ان يقصد اليـه قصدا ، وهنا تبدو طبيعة الناقد الادبية شفافة واضحـة فهو لا يتكلف القول تكلفا كي يشير الى كثرة اطلاعه ، كما نجد عند المتعالمين من النقاد ، ولكنه يكتب في مجلة ادبية وكأنه يتحدث في محاضرة دراسية ، فلا تفاصح ولا ادعاء، بل استطراد سهل موفق ، وتدفق مطرد طريف !

وليس مجال المقارنة في هذه الابحاث العباسيـــة مقصورا على الادب العربي وحده ، او الادب العباســي وحده ، كما قد يفهم بعض القراء ، ولكنه قد يمتد فـي رحلة تشمل آفاق الادب العربي جميعه ، فاذا تحدث عن ذئب الشريف ذكر ذئب الفرزدق وذئب البحتري ، واذا تحدث عن عتاب مهيار ذكر عتاب ابن الرومي وسعيد بن حميد والطغرائي والبحتري وغيرهم من الافذاذ ، واذكر اني قرأت لشكري ثلاث مقالات متواليات عن الرثاء فـي شعر العرب ، وقد تسلل فيها الحديث عن روائع مختارة للجاهليين والامويين والعباسيين والاندلسيين والمتأخرين ! والكاتب يختار لكل شاعر من قصيدته الطويلة اجود ما قال ، منمقا بحثه في سهولة وترفق ، وملفتـــا قـــراءه كعادته دائما ـــ الى ما يلاحظ من اختلاج النوازع ، وامتزاج الاحاسيس ثم يفرق فرقا جليا بين الصانـــع المتكلف ، والحزين الملتاع ، ويشير بدلائل من النقد النزيـه الـى مكانة كل شاعر ، ونصيبه من التوفيق ، وكذلك فعل في مقالاته بالمقتطف عن النسيب في الادب العربي وغيره من الاغـراض .

وقد قصدنا بكتابة هذا البحث الموجز ان نرد على هؤلاء الذين يرجفون بالادب العربي عن جهل مطبق بكنوزه وذخائره ، ويعدون قراءة روائعه الجميلـة فضولا مـــن العبث ، وضربا من اللغو العقيم ، ولو كان الامر كذلك مـا عكف نابغة المعي كشكري على دراسة قلائده ، وتحليـل سواحره ، ونقد أعلامه ، بل ان توفيق شكري في عالم الشعر لم يكن ليتم له كما اراد لو لم يتخـــذ من الادب العربي قديمه وحديثه ثروة غنية تسعفه بالرصانة المحكمة والاسر القوي ، والايجاز الصائب ! واذا كان الادب الاوربي قد ادى رسالته في تجديد الشاعر وابتكاره فلن يجحـد للادب العربي فضله في التقويم والتسديد .

تلك شجون مختلفة عن شاعر عرفناه فقدرناه وأدركنا كفاحه المخلص فأحببناه ! رحمه الله .

الفيوم ـــ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

تهنئة الاديب بعيده الفضي

كانت لجنة للاحتفال بيوبيل « الاديب » الفضي قد تألفت في بيروت . وكان من مقرراتها اقامة حفلة تكريمية كبرى « للاديب » . وقد تأجلت بسبب ظروف طارئة . وهذه القصيدة كانت معدة لتلقى في الحفلة المذكورة .

*

كم هزار شدا وكم عندليب ... يوم عيد الربيع عيد الاديب
دوحة الفضل والحجى وسجل ال ... علم أو مسرح الخيال الخصيب
مد لبنان فوقها من بياض ال ... ثلج والسحب كل بـرد قشيب
فكست غرة الشباب جبينا ... وكسا رأسها جلال المشيب
وسقاها من نيل مصر وفاء ... وتغذت من الفرات بطيب
وحباها الحجاز وحي كتاب ... وفلسطين لوعة المنكوب
واستعارت من غوطة الشام زهرا ... وصداح الحسون والعندليب
فصدى العرب صوتها وصداها ... ملعب الفكر في الفضاء الرحيب
وهي قيثارة القلوب ، فخفق ... في حنان وأنة من وجيب
وتر صادح وآخر شاك ... من شجى أو هوى به أو كروب
ان هذا الأديب سلوى نفوس ال ... عرب طرا وترجمان القلوب
يعصر الفكر يبذل الروح يسقي ال ... طرس من مدمع الجفون الصبيب
ويغذي روحا ويأسو جراحا ... ان لله دره من طبيب
كتب الله للأديب بقاء ... وكفته الاقدار شر الخطوب
كم رأينا في مصر من قبل روضا ... صار ينبوع مائه للنضوب
غاب فيها « وحي الرسالة » لما ... آذن الفضل والحجى بالمغيب
وبلبنان كم رأينا نجوما ... لامعات قد آذنت بالغروب
افتصدى العقول والجسم يغذى ... ام نرجي المنى بفجر قريب
نحن نسقي العطاش نقري جياع ال ... فكر ، نحنو على الشريد الغريب
فاذا مسنا الأذى فالتمسنا ... آسيا عز في الزمان الجديب
لا نرى ساقيا اذا ما عطشنا ... غير قان من دمعنا المسكوب
لا نرى مطعما لنا ان سغبنا ... فسألنا ، سوى السميع المجيب
نحن كالكرم طاب منه قطوف ... فتدلت على جفاف الدروب
يطأ الناس نبته وتهيل ال ... ريح ما فوقه الثرى بالهبوب
ان عرس الأديب فرحة عمر ... ولقاء الحبيب بالمحبوب
عرس قانا الجليل يوم يعيد ال ... عرب قانا لشعبها المسلوب
قد وقفنا في عيدنا بين شاد ... وخطيب وكاتب وأريب
نسأل الله للأديب ازدهارا ... وحياة سعيدة « لأديب »
بين الف ووردتين ووحي ... من كتاب وغفلة من رقيب

القاهرة — بولس غانم

جولة في معارض الثياب القديمة

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

اراني اذا اردت طرح اعباء الحياة عن نفسي ، وازالة ما رزح على روحي من هم طغى عليها فاستبد بها ، كما تستبد شبكة الصيد ، بالصيد الوفير يرقد في اعماقها يتصارع مع الموت ، المنبث في كل خيط من خيوطها ، وقد انساب اليه عفويا في غفلة من غفلات الاقدار ، او فرحا بالطعم ، وطمعا في ابتلاعه اقول ، اراني في مثل هذه الحالة في أمس الحاجة ، ان اسمح لاقدامي ، كيما تجرني منسابا ، فوق افاريز شوارع المدينة ، على غير هدى ، لاطالع في سفر الحياة ، روايات واقاصيص ، والحياة عبارة عن دار عرض كبيرة للسينما ، يمثل الناس فيها ادوارهم ، بكل بساطة ودقة ، والممثل يحمل في طيات نفسه شخصيتين مزدوجتين ، فهو عدا عن كونه يقوم بدور الممثل ، فانه يقوم في نفس تلك اللحظة بدور المشاهد ..

اسير واسير وئيدا ، ولكن بغير خطى متثاقلة ، وانما بخطى المتأمل المشاهد ، اتأمل الناس وحيواتهم ، وما يرتسم على وجوههم ، من رضى وغبطة ، وما يفور في اعماقهم ، من هم بدا مائلا متجسما في عيونهم الغائرة الكئيبة ، فاقرأ في هذه الوجوه صحائف من روايات حياتهم ، وانا في كل هذا الذي استوحيه ، تغمرني الغبطة ، ويشيع في احنائي السرور ، لان قراءة حيوات الناس ، يملأ النفس لذة ومتاعا ممتزجا مع الم دفين انساني ، يغيم في نفسي .. تجرني قدمي احيانا الى الاسواق التجارية فأراها تغص بالمستبضعين ، يستبضعون حاجاتهم ، الضرورية والكمالية ، وبعضهم يلتف حولهم ، لذاتهم الصغار ليشتروا لهم حوائجهم الضرورية ، والاطفال ينعمون بالسرور ، ويحتفلون بالسعادة ، يتدفق البشر في نفوسهم ، وتنطلق الفرحة في افئدتهم ، وتعلنها عيونهم باسمة مشرقة ، سعداء بنفيس الهدايا ، تشرق اوجه والديهم بفرحة الحياة وما امدهم الله به من الرزق استعانوا به لتوفير الفرحة والبهجة في انفس بنيهم ، والطفل الصغير ، يفرح بالقليل ، فيراه شيئا كثيرا كما يفرح المحب بايماءة واطلالة بسيطة يمنحها له محبوبه ، فيراها في عمر الزمن دهرا طويلا ، وشيئا كبيرا كثيرا ، ومن هذا القليل يضيف الى سعادته سعادة اخرى ، لانه لم ينغمر بعد في اعماق الحياة ، وهو اقرب الناس الى الفردوس والنعيم كما يقول الحكماء ، وكلما امتد به الزمن ، ابتعد عن الفردوس ، واقترب من الجحيم جحيم الحياة ، حين تطلع عليه باسرارها ، ويبلو ما في اعماقها من خير وشر ..

ثم تنتقل بي اقدامي فأفاجأ حيث ارى نفسي في سوق الملابس القديمة ، وقد ازدحم السوق بالشارين ، وامتلأت دكاكين الباعة بالملابس القديمة ، تراها مركومة مرصوفة على ارففها ، او معلقة فوق الحبال . والمشاجب المتناثرة او على كتف البائع ، **يعرض كل هاتيك الملابس .** وقد نصل بعضها من الوانه ، تنفث روح القدم من اردانها وصدورها واكمامها ، سترات ، وبناطيل وجزيئات ، تنطق بوجاهة ، وعزم ومنعة وقوة اولئك الذين ارتدوها لاول مرة ، فكم سترة تفنن صانعها ، فاخرجها تحفة من تحفات الفن والجمال ، وكم معطف تفجؤك حلاوة نسجه ، ومتانة حبكه ، وجمال هندامه ، وصنعه ، وتخلبك روعة الفن وقدرة الفنان ، الذي صاغه على هذا المثال ، ويطغي على الخيال ، ويستبد بي بين الفينة والفينة ، وانا غارق في احلام يقظتي ، فيطالعني وجه ، وقامة ، صاحبها الاول مرتديا تلك الحلة ، وما اضفت على قامته من الفن والبهاء فاقول في نفسي : اتراه بعد عز ونعمة مترقرقة ، اصابته المتربة ، ونكلت به الفاقة ، فباعها رخيصة ، فجابت الاقطار من اقصى المعمورة حتى استقرت في هذا المكان ، تعرض حياتها وحياة صاحبها المتقلبة ، بين اليسار والخصاصة ، والنعيم والشقاء ، ام تراها حلة ميت ، تقاسم ورثته ، تركته فباعوها ضمن ما باعوا من آثاره ومقتنياته ، وكتبت لها الاقدار الرحلة والغربة ، لتتجرد عن كتف ، وقامة رجل ثري سعيد ، **ولترقد فوق** كتف شقي فقير ، يشتريها بزهيد الثمن ، ويزدهيه الغرور ، فيستعيض وهو في اشد حالات وهمه ، حياة حرم من مفاتنها ، بهذه الحلة ، لعلها تستحضر له جزءا من السعادة المفقودة ، .. ثم اسير ، ويقبل علي محل ازدان بما علق فوق مشاجبه ، ورفوفه ، من فساتين حريرية وصوفية وجزيئات وغير ذلك من الاصناف المختلفة الشكول والالوان ، رائعة التكوين والتفصيل ، فاحدث نفسي واقول .. اية قامة هيفاء ، علتها هذه الحلل ، وطوقتها تلك الثياب ، اترى هذه الحلة ، كانت لحسناء ، فاتنة المحاسن ، هجرها عشيقها ، واخرى لغيداء ، كانت ترفل بالنضارة والنعيم ، استلب الموت حياتها الهانئة ، وابقى تلك الثياب تنطق بالحياة الآفلة ، اردانها وثناياها ، وما حفلت بالنعيم والعيش الرخي .. حقا ان الحياة سعادة وشقاء ، **فلقد غاض معين الحياة من** اجسام اولئك الذين ارتدوا تلك الحلل ، لاول مرة ، ولكن آثار العز الغابر ، **ما تزال عالقة بها ، وافتتن بهذه الحال اخرون ،** فساوموا على شرائها ، ليرتدوا بقايا العز الآفل ، والسعادة النابضة بالحياة ، لتشرق على اكتافهم وصدورهم نوافح النعيم ، وان كان الالم الدفين يطوي

ذكريات لقاء عاجل

لـم تكـن غـير لحظـة ، وتواريت ، وظـل السـؤال فـي أعماقـي
وتمشى العيـاء مـلء دمائـي   واستفـاق الخشوع فـي اعراقي
حين غمغمت : مـن تريد ؟ ترنحت وغـام الوجـود فـي أحداقـي
ورأيت الغـد المحجـب في عينيـك جـذلان مشرق الافـــاق
ما الـذي قلتـه ؟ سألتـك خجلان ، فنـم السـؤال عـن أشواقـي
فتبسمت لـي ورددت مـا قلـت وفـي الصـوت رنـة الاشفـاق
وتبينـت مـا تكتمـه نفسـي   ومـا حمـلت مـن الاخفـاق
وتساءلـت : أي شـيء تعانـي   يـا حليـف السهـوم والاطراق ؟
أيه يـا أنت ! انني بائس مضنى تولـى عنـي الرجـاء الباقـي
أقطـع العمـر هائمـا لا أرى قلبـا رحيما يأسـى علـى ما ألاقـي .
كيف أدعوك ؟ قلت لـي في حنان   دفقت منـه ضـوأة في المآقـي
قلـت والدمع حائـر فـي عيوني   وفؤادي يذوب فـي احداقـي :
الغريب الذي أرتوى بعـد غـل   واحتواه مـأواه بعـد الفراق !

بغـداد

زهير أحمد القيسي

في قلوبهم ، ونفوسهم ، او ليرتدوا السعادة في اشكالها المتباينة ، وان ندت عن نفوسهم وارواحهم .. رجعت من رحلتي هذه مستعرضا الوان الحياة ، ومفكرا في متاع الانسان ، واثاره ورسومه ، وما ينطق عند عرضه من الوان الحياة المتباينة المتعاقبة ، بين البؤس والشقاء ، والعز والنعيم ، رجعت وانا افكر في مقطوعة شعرية قالها احمد ، شقيق ابي العلاء المعري ، وكان شاعرا ممتازا ، لم تبق له ، شهرة اخيه ، الا شهرة ضئيلة ، لا يعرفها الا الاقلون ..

مر هذا الشاعر في احدى رحلاته ، على اطلال (سياث) وهي المعرة القديمة ، ورأى رجلا ، يقتطع الحجارة ، من اطلالها ، فآلمه المنظر ، والاطلال تحدث عن حياة سابقة لامته ، كما تحدث الثياب والامتعة والحال عن حياة الاشخاص ، وتملؤنا النشوة من كلا الحديثين ، ونحس بالعظة والعبرة ، فنخضع امام قوة الحياة ويتدفق الاسى والشجن في اعماقنا يقول :

مررت بربع .. من سياث فراعني   بـه زجل الاحجار .. تحت المعاول
امتلفهـا شلت يمينـك ، خلهـا   لمعتبـر ، او زائـر ، او سائـل
منازل قوم .. حدثتنا ، حديثهم   ولم ار ، احلى من حديث المنازل

ان محبة الشاعر للحياة ، اوهمـه بحديث المنازل ، فاضفى عليها الحركة الانسانية ، وتشبث الانسان بالبقاء جعله يضفي الحياة ، حتى على الرسوم والاطلال .. رجعت وانا اتلمس الروح الانسانية تخفق في روح ابي العلاء المعري ، يحدب حتى على مظاهر الحياة البسيطة ، فكأنها ترتفع في حسه ، الى درجة اسمى مما تتصوره مداركنا ، ويضفي عليها خياله ووهجه فتبدو كأنها انسان، يشعر بالالم ، والغربة : يقول رائيا اناء من الفخار ، ظنه رماد انسان :

فلا يمس فخارا مـن الفخر عائد   الى عنصر الفخار ، للنفـع يضرب
لعل انـاء منه ... يصنع مـرة   فيأكل فيه .. مـن اراد ويشرب
ويحمل من ارض لاخرى وما درى   فواها له ... بعـد البلى يتغرب

لقد جاد علينا سوق الملابس القديمة بالعظات، نثرتها سخية علينا ، معاطفه وحلله ، تتدفق بالوان عميقة من الوان الحياة ، وما اروع الوعظ تنطق به الرسوم والآثار ، والنفائس والثياب والحلى ، وما اروع ابي العلاء في قولـه :

اذا الحـي ألبـس اكفانـه   فقـد فنـي اللبس واللابس
ويبلى المحيـا .. فـلا ضاحك   اذ سر دهـر ولا عـابس

عمان ـ الاردن

مصطفى درويش الدباغ





بقلم اديل الخشن

بحلاوة الدفء والانسجام ، عاشرته كواجب يحتم عليها ان ترعاه وتوفر له الراحة . ولما وعت نفسها وادركت ما لشبابها من حق عليها ابتعدت عنه، توارت تخفي خيبتها وانهيارها.

كانت في قمة الفتوة ، في عنفوانها ، في الرابعة والعشرين من عمرها سن الحب والامل المشرق سن التفتح والمرح ، وراته الى جانبها كهلا في الستين ، مات فيه الربيع وجفت ينابيع عطائه . ما ذنبها ؟ هل كتب عليها ان تدفن شبابها وهو في اوجه ! تبا لوالدها من سفاك .

« هاك جيوبي ، فاغرز يديك فيها واحفن ما تسع كفاك . هاك رماد جماري المطفأة فاطل به بابك وانثره ضبابا تختبىء فيه عن عيون لائميك لا تتوان ... « شيخ يدلل ولا شاب يهين » هو ما يقوله المثل السائد . لقد دارت بي الارض خمسين دورة فلا بد لي من الاستراحة متوكئا على زند قوي نضر . اراك تحب القنص خذ هذه البندقية ، فما عدت قادرا على الصيد . لااستطيع الجري في الحقول او تسلق الهضاب . ان رجلي يشلهما داء « العصبي » ، لا تتململ ، ستكون ابنتك عصاي ودليلي » .

« ما اروع هذا الوادي وما اجمل تسابق السنونو بين اشجاره ! هل تسمع زقزقة العصافير فوق شباكنا صباحا ؟ كيف يمكنك النوم والاسترخاء وكل ما في الطبيعة ينهض بنا ويفجر كياننا . تعال الى الشرفة نُرشف قهوتنا وننعم بالنور والهواء . انظر الى هذا القطيع ، انه كغيمة بيضاء تطل وتختفي في منعرجات الطريق ، ان الفرح المتفجر من اعماقه يرقص قوائمه فيشرد في الوادي الاخضر ذاهلا عن صياح راعيه . ما بك تتنهد بعمق هل تشعر بألم ؟ احسك غير قادر على التنفس جيدا ، اليك بهذا التفاح اللذيذ فاقضمه كما يفعل الاطفال ولا تخف ان تقع اسنانك او تتفسخ ، فقد يساعدك على الانتعاش. تدثر جيدا وتدفأ بأشعة الشمس فلا تنفذ اليك البرودة وسرح ناظريك في هذه الهضاب » .

ـ « ما لنا ولهذه الحفلات ياحبيبتي فهي لا تورث الا التعب والملل . لقد سئمتها سئمت السهرات الصاخبة ليس بي رغبة لشيء . ان التقزز يملأ نفسي ، لقد افنيت عمري متسكعا في الحانات ابذر في البارات دون حساب ، دعيني استريح فما عاد بي جذوة تشتعل ، البرودة تسري في شراييني تعالي نلزم بيتنا انسى الدنيا فيك وتتعرفين بي الى العالم » .

لم تكن تستطيع الهرب من واقعها ، من اولادها وتذكرت اباها وامها ، تذكرت الصرة المتوهجة التي استبدلاها بها . الم تكن امها فرحة يومذاك تتيه فخرا على جاراتها ان ابنتها خطبت ولم تكمل الرابعة عشرة من عمرها . انها بلا شك اجمل بنات القرية والا لما اصطفاها هي دون غيرها .

وتشتعل النار في صدرها ، لم تحب هذا الزوج يوما ، لم تشعر حبذا لو استطاعت بالامس ان تعي . ان تجهر بما ادركته الآن . وابوها ، هذا الذي يصفر زوجها بعشر سنوات ونيف ، كيف فاته ان يدرك سوء عمله وبشاعة جريمته ؟ كيف رضي ان يجعلها بركة للمياه الآسنة. هالها هذا الضياع ، هالها ان تبقى غصنا اخضر ملقى في قبو عتيق .

فبكت نفسها ، احست الغبن والغلبة فالتهبت اعصابها وشعرت بالدوار في راسها . لا ! سوف تنتقم ! .. ستعيش رغم الاعدام الذي حكمت به ، ستقف في وجه زوجها وتدافع عن نفسها ، ستصرخ في وجهه ، ستفهمه انه مجرم ، انه وحش ، انه ميت الشعور والضمير ، والا لما رضي ان يتزوج من فتاة في ثلث عمره .

ان الطبيعة عرفت كيف تعبر عن دستورها بحق ، فما جمعت الربيع والخريف في صفحة واحدة . الزهرة العبقة المطلة على الضوء لا تضم مع زهرة ذابلة جافة .

.. « ان هذه السنوات العشر التي قضيتها في الظلام هي التي تمدني بالقوة ، هي التي تنمي رغبتي في الحياة وتحفزني كي انهض واتبع النور المغلف بالظلمة ، النور الذي يشع في نفسي فأصل الى فجر ابيض ارقبه منذ زمن .

اما والدي فسأدعه رافلا في بحبوحة مستنزفة من دمائي وليشمخ امام اترابه واصدقائه فزوج ابنته ثري اهدى اليه ذهبا ، وليصطد الطيور البريئة فكل رصاصة يطلقها من تلك البندقية تزيد ثغرة الجرح في قلبي وليهنأ منعما بصفقته الرابحة . انا لاافكر ان استبيح شرفه ، ان الطخ اسمه واتمرغ في الوحل انتقاما منه بل سأطل من افقي الاسود لاريه اعصار الحرية في نفسي لاعلمه ان شراييني تتفجر وتنزف مع كل غروب ، وان هذا الصمت المختزن في صدري

الرجوع من المستحيل

.. ومضيت من باب لباب
الريح تلعنني وللدرب المعلقة اكباب
ومدينتي تجتر ماضيها ، وتستجدي السحاب
أطفالها خرق مبعثرة كأعشاش الغراب
ونساؤها شجر من الصفصاف لم يحبل بناب .!
.. أمضي ، ويفزعني الاياب
وهناك أبعادي المكسرة الشعاب
أبد من التسآل يملؤني فأبحث عن جواب
عن مطلع للشمس .. عن بدء الرياح ،
لأضيء في أنفاقي الحيرى مصابيح السراب
وأحاور الاحقاب عن معناك يا جبل التراب
عما يجول بخاطر الاشجار في غاب ، وغاب ؟!
وأروح أركض في القفار السمر اسأل عن جدار
عن وحل غانية طمى ..
عن كوخ ناسكة على شرفاتها نبت النهار
عن شاعر ضغط الوجود وراح يقرأ في سفار
أشواقه في ليلة الميلاد
عن فارس ميدانه رفض اذا احتدم الغبار مع الغبار
.. وصرخت في واد من الموتى وللريح
المعتقة انكسار :
ـ هبوا ، فقد غرق النهار !؟ .

« ـ يا نوح هذي الارض تاكلني ويرهصني مدار
ـ يا نوح .. لم جنح السفين الى « الجودي »
لم نشفت بحار .. ؟!
ـ يا نوح .. يا .. »
ويظل يركض في متاهاتي جواب
ويداي تحتضنان الريح ، أدخل كل باب
أستصرخ الطوفان : ان يطفو ، ويبتلع الهضاب.
المستحيل يلفني ، وغدا يغيبني حجاب
لكن ظل الارض يرجعني ، صدى ،
فاسيل كالانهار في ترب الضباب
أمي التي كانت هنا
حفرت أخاديد اليباب ..
لا الريح أهدتني ، ولا النجم المعلق بالسحاب
« ـ يا نوح : هذي الارض تأسرني وتعصرني قفار
يا نوح : لم لجأ السفين
ولم غارت بحار .. ؟ »
موج من الافكار يغسلني ويملؤني ضباب ..
ـ « يا نوح .. يا .. »
ويظل يركض في مسافاتي جواب !.

دمشق — اسماعيل عامود

يوزع القناديل الساطعة في طريق الحياة . سأنفخ الرماد عن الجمار واحرق الظلمة امام العميان فلا يتعثرون .

اما امي ، فسأسامحها وان كان نصف الجريمة يقع على عاتقها ، وان كان انصياعها يرسخ زعامة أبي ، وان كان استسلامها يزيد من سلطانه وان كانت تمثال تحركه اهواؤه . اريد ان اعلمها ان الهدوء الكثير يبني الفراغ ، وان الطلقات تحرك ريش العصفور وان كانت لاتقتله »

ـ « امي ... اين انت يا امي لدي دروس كثيرة تعالي الي ... انا لا اقوى على الدرس وحيدا » .

وانتفضت كمن صحا من حلم مرعب . قفزت تمسح دموعها وتمشي بخطى حازمة ، خطى تنطق بالثقة والحرية وتومض بالانتصار بعد ثورتها المكبوتة .

دخلت غرفة اولادها بأشراقة جديدة ، بنظرات اغتسلت بالدموع فأضاءت فيها نجوم راقصة تشع وسط ضفاف خضراء لقد عرفت ان تنشد في العدم ، ان تضحك في الظلام ، ان تتألم بغبطة ان تكون ارضا يشيد اولادها عليها سماءهم .

واحتضنت زغاليلها تفيض عليهم بالدفء وتوزع بينهم القبلات ...

ورنت باشفاق حيث يجلس زوجها فتلمست يده بحنان دافق :

« السهر يتعبك يا حبيبي اذهب واسترح في سريرك ، اما انا فسأسهر سأرقب القمر في لياليهم البيضاء » !

الشويفات ـ لبنان   اديل الخشن

نظرات نقدية حول اللغة والادب

بقلم عيسى ميخائيل سابا

* * *

حدد ابن خلدون الادب بقوله : هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها ، وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته ، وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم ، وقال اخرون : ان القصد من دراسته الوقوف على جمال القول وروعته .

شيء به فتن الورى غير الذي يدعى الجمال ولست ادري ما هو

امام هذه اسائل نفسي ما هو ذلك الجمال ؟ او ما هي تلك الروعة وان شئت فقل الاجادة التي نلمسها في دراساتنا الادبية ؟ وقد اقتصرنا على تفسير معنى البيت ، ودونه ودون الحقيقة بون شاسع ، والتطريب للكلمة الرشيقة ، وابداء اشارات الاعجاب باليد والتغني بالشعر ومد الصوت تهديرا وترعيدا وتحزينا لا غير ، ونقول انه جميل ولماذا ؟ لا نعلم ، ونزعم اننا ندرس الادب ونعلمه وقد فاتتنا الغاية المرجوة التي يقصد اليها بالذات واغفلنا توجيه الطلاب اليها ، وهو النقص الذي نلمسه ويلمسه كل من درس الادب . ويقول ابن خلدون ان صاحب هذا الفن يحتاج الى اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها .. والتكلم بلسان العرب والبليغ فيه ، ليس له غنية عن دراسة قواعد اللغة من صرفها ونحوها وبيانها والا ففهمه للادب يكون ملتويا .

تمثيل العصر

واذا كان الادب على ما يقولون ، هو كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل ، وهي كما تكون بالفعل وحسن النظر والمحاكاة تكون بالاقوال الحكيمة التي تضمنتها اللغة من نتائج عقول ابنائها وامثلة طباعهم ، وصور اخيلتهم ، ومبلغ بيانهم مما شأنه ان يهذب ويثقف العقل ويقوم اللسان ، وهذه كلها مدعاة لارهاف الحس وصقل الذوق وهو عند اهل البيان حصول ملكة البلاغة التي هي مطابقة الكلام المعنى من جميع وجوهه بخوص تقع للتركيب في افادة ذلك ، فهل وصلنا في تدريسنا الى تلك الغاية بعينها ؟ ام ما نزال نغوص في بحار متلاطمة تصدنا عن الوصول الى الميناء الامين بسلام ، حيث نلقي المرساة ونجني من الثمار ما لذ وطاب بما تعرضه من نتاج العقل بذوق سليم سديد ، ونختط لانفسنا طريقا تتلاءم مع حياة العصر الذي نعيش فيه ، وهل تضمن لنا مدرستنا الادبية الحاضرة تمثيل عصرنا ؟ ام ما زالت تمثل مدارس الاقدمين من الجاهلية الى الصدر الاول فالعباسية .

ترى هل فكرنا في ايجاد مدرسة تنبيء عن حياتنا **الاجتماعية والعمرانية ؟ وما اراه وربما اكون مخطئا ، اننا ما نزال نعيش على هامش الاقدمين ، ننتقل بعقول طلابنا اليهم ، ونستعمل تعابير صحراوية ونحن في عصر الكهرباء والسرعة والطاقة الذرية .**

تحرر في التقليد

وبعد اليس القصد من دراسة الادب معرفة احوال النابهين من اهل اللغة في كل عصر ، وما كان لنشرهم وتاليفهم من اثر محمود او حال ممقوت ، لنحتذي مثال المحسن ونتنكب طريقة المسيء ، واحياء القومية في نفوسنا ، ونجري بعصرنا الى الحسن فالاحسن موجهين فكر الطالب الى ما يقع تحت حسه وفي متناول يده ليصوره بخياله وادبه ، كما صور من تقدمنا ما كان لهم من اسباب العمران او التردد والرفاهية او الخشونة .

الا يجدر باساتذة الادب ان يحرروا انفسهم من فرط التعلق بالقديم وتقليده ويتوجهوا بافئدتهم نحو الاجتهاد ؟ وبابه في الادب ما زال مفتوحا ويصنعوا لنا قواعد وحدودا تقرب معنى الجمال بوضعه الفلسفي وباسلوب يحمل طالب الادب على رفع مستوى عقله واخلاقه .

واذا كان القصد من الادب جمع المجاميع وشرح الغامض شرحا تقليديا **فيه خلط وتشويش فما اقصرها** جدوى ، واقلها فائدة ، **اليس من الخير ان يوجه الطالب** توجيها ادبيا بعد ان يكون قد وجه توجيها لغويا صحيحا في الصفوف الدنيا ، فيتعرف وجوه الجمال بمساعدة البيان ويعرف كيف يجب ان يفهم قول السرى الرفاء مثلا :

تعانق ريحها لم الخزامى — واعناق القرنفل في سراها
ويابى زهرها الا هجوعها — ويابى عرفها لا انتباها

طابع الجمال

ولئن كانت لذة الجمال تعلن نفسها غالبا **بايجاد عمل** من الاعمال ، لان في الانسان رغبة متأصلة في أعماق نفسه ، تدعوه لان يوضح ما يشعر به او بخط او صوت او تصوير ، او على حد تعبير كارليل ، لا يمكن ان يوجد ملتن صامت غير مجيد ، ولايضاح ما يجول في المخيلة يجب ايجاد مادة ، تنقل تلك الصور المطبوعة بطابع الجمال ، واين نجد هذا الجمال ؟ ان لم يكن له طرق موصلة تقودنا اليه ، اليس من الغبن ان نهمل تلك الطرق نتهافت على تعابير ليس لها صلة بعصرنا البتة ، وتحمل على اللغة ومتونها ، ونجهر قائلين اننا نرغب في تبسيط اللغة ، ومن يبسطها ؟ ايبسطها اولئك الذين لم يلمسوا بيدهم كتابا من كتب الائمة ؟ او الذين لا يعرفون من اللغة غير كلمات معدودات يرددونها في كل قول ، وشيء

هذيان .. فتى شاخ

آه من يغزل هذا الألما ،
كفنا من يسكت الصوت أيا صوتا مدمى
آه من يهصر صدغي ، فيا راحة كوني العالما
ولتطر عيناي في الافق ترش الندما
وليمت رأسي ، فما أهدائي ،
لا رأس لـي
رجلا منتصبا كالنخل .. لكن دون رأس
وبـلا عقل .. بلا وجه وحس
سنبلا أنبته الدهر فكان الحاصدا
أملا من قبل ان يرسم في الاحداق شاخ

يـا زمانـي ،
ليتني أسلخ من عينيك تذكاري ،
وأرميه الى الموقد خمره
مثلما يرمى رماد التبغ .. ما أقصر عمره
فهو والتاريخ عندي .. خفقتان
ومضة ، سرب جراد نحو قلبي
فبكى ، والدمع في ايامنا الحيرى اغان
وتمنى ، آه لو ترخى الاماني
يـا زمانـي ..
انني أعجب اذ يعشق انسان زمانه
وهـو يـدري .

ان في جنحيه من ريش النسور
ان عينيه صخور
ان في أعماقه ، تنبت مأساة العصور
تتهادى ، وتفني السنديانه
ايه يا نفسي ، وظل الزمن المجدور افعى ،
حـول روحي
حيث لن أروي للريح أساي
حيث لن أحكي ، لن يسمعني غير أنيني وخطاي
وسعالي .. وضلوعي ـ أضلع الطير ـ ونبضات
جروحي وانكساري وصباي
آه لو افترش الموت وأغفو
باسطا كفي .. اطرافي .. قلبي
مقلتي ـ لم تبصر الان ـ عنائي
لـك خذها .. يا زماني
ايها الصقر الذي حط على وجهي يوما فمحاني
أنـا .... ! لكن يا صحابي ،
أي حسره
عندما يلعق من جبهتي الصفراء ذئب
أي حسره .

بغداد عبد المحسن أطيمش

ضئيل من فقه اللغة واصوله ، لا يغني ولا يفقر .

قيمـة الادب

وما قيمة الادب الذي بين ايدينا اذا كنا نسير سيرا تقليديا فلا نشرحه على ضوء العلم والتاريخ بل نكتفي بشرح رجل فرد رأى فيه رأيا يخالف كل المخالفة الحقيقية ، وقد صرنا في زمن عمت فيه الكتب ونشر المخطوط في كل فن ، واصبح في متناول كل فرد ان يرجع الى عصر الشاعر ويدرس احوال البيئة التي عاش فيها ويقف على مبلغ الحياة العقلية فيها وعمرانها وحكمها والمذاهب المنتشرة فيها ، والتاريخ والادب صنوان لا يفترقان الا في نواح . عقلية محضة وهي الجمال الفني وهو الذي نرغب فيه الى اساطين الادب ان يجعلوا له قواعد ، كما فعل ائمة البيان في عصرهم كعبد القاهر الجرجاني المتوفي سنة ٤٧١هـ والامام ابي يعقوب السكاكي المتوفي سنة ٦٣٦هـ .

وجملة القول ، انه ليس عندنا مدرسة ادبية تمثل عصرنا تمثيلا حقيقا كما مثل « المثلث الاموي » عصره وشعراء العصر العباسي من بشار بن برد الى ابي العلاء في الشعر ومن ابن المقفع الى القاضي الفاضل في النثر ، ومعلوم ان لكل جيل ادبا وخيالا ونتاج عقل يستفاد من الحاضر ، والفن يخاطب العقل كما يخاطب القلب ، فاين الفن ؟ ايكون عصرنا عصر دراسات حسب ؟ او ليست كثرة الدراسات الادبية تنتهي بنا الى بكم ، وما نتيجة الادب الذي درسناه في مدى هذه السنوات ؟ ان لم يكن لنا منه ثمرة الابداع وتصوير العصر بحضارته وما فيه من العجائب والغرائب التي تدهش المرء وتبعث فيه لـذة التفكير والتنبؤ عما يكون في مستقبل الايام ان واصل الفكر ابحاثه ومكتشفاته في الاجواء البعيدة ومخترعاته التي يحلم بهـا .

عيسى ميخائيل سابا



طاهر الطناحي

طاهر الطناحي

بقلم نقولا يوسف

سكت القلم الذي ظل حوالي اربعين عاما يجول ويصول في ميادين الصحافة ، يكتب الدراسات الادبية ، والمقالات النقدية ، والقصة التاريخية .. وينظم الاشعار ويضع المؤلفات ، ويقدم للمذكرات والمصنفات .. ويترجم للاعلام وينشر الاحاديث والمراسلات .. وتوقف الصوت المسموع في مجالات الاذاعة والخطابة والندوات .. وانتقل الروح الفتي المتوثب الذي لم يعرف الراحة والسكون الى عالم السلام والخلود صباح ١٤ من ابريل ١٩٦٧ ..

في عام ١٩٠٣ ولد بمدينة دمياط صديقنا الشاعر الصحافي طاهر احمد الطناحي حيث نشأ اباؤه واجداده .. ولو انه يلقب بالطناحي نسبة الى بلدة طناح ، ويقول انه لا يعرف سبب هذه التسمية .. وبدمياط تلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة المزاوي ثم بمدرسة « شمس الفتوح » التي أنشأها المرحوم الشاعر علي العزبي ، وبهاتين المدرستين الاهليتين القديمتين تعلم رهط من ابناء هذه المدينة الذين برزوا فيما بعد في ميادين الفنون والاداب والصناعة والتجارة ، ولم ينس اكثرهم هذه الزمالة ..

ثم التحق الطناحي بمعهد دمياط الديني وحصل على شهادته الابتدائية . ولما كانت هذه المدينة يومذاك خلوا من المدارس الثانوية والعالية فقد ارتحل مع موكب المهاجرين الى المدن الكبرى ، الساعين الى استكمال التعليم او الى العمل الرحيب .. واستقر بالقاهرة عام ١٩٢٢ واستوطنها بقية حياته لا يبرحها الا في رحلات قصيرة الى بلدته او الى غيرها من المدن ..

لكنه خلف مسقط رأسه وراءه يتبعه مؤثران ، احدهما انطباعات صورها ومعالمها فهي بيئة غنية بجمالها الطبيعي ، تقع بين البحر والبحيرة والنيل ، وتجاور الحقول والريف وادغال النخيل، وتدنو من مصيفها «راس البر » عند ملتقى النهر والبحر .. وهي غنية بتراثها التاريخي والادبي والفني (١) . واما الاخر فالوفاء والحنين والتعلق ببلدته ، لم ينس قط مرتع طفولته ومسرح صبوته ، ولا اهله ولداته وعشيرته .. يردد ذكرها في رسائله ومحادثاته ، وفي منظوماته ومساجلاته او في مقدماته ومقالاته . وها هو يكتب عنها بعد ان بارحها بسنوات طوال (عام ١٩٤٩) في كلمة جاء بها : (٢)

« غادرت دمياط منذ عشرين عاما وهي مدة ليست باليسيرة ، وكنت وقتئذ صبيا ، ولكن لغتي وعاداتي ما زالت دمياطية . وما زلت افتخر باني دمياطي . وكلما تحدثت الى محدث وقال انك دمياطي ، شعرت بالغبطة وهزتني الذكريات الجميلة ، وانشدت قول تقي الدين المقريزي:

سقى عهد دمياط وحياه من عهد   فقد زادني ذكراه وجدا على وجد

واستفزني هذا الجمال الشعري الذي انطبع في نفسي من جمال الطبيعة في هذا البلد الجميل . واستعدت من صفحات التاريخ ما كتبته دمياط بالمداد الذهبي والوطني والمجد الاثيل ، يوم لم تكن تعرف القاهرة والاسكندرية .. »

وهو يعزو تعلقه بالشعر والشعراء الى المؤثرات الاولى في بلدته ومدرستها ، فيقول في مطلع كتابه : « شوقي وحافظ » (المنشور في اول مايو ١٩٦٧ عقب وفاته) :(٣)

« كنت في صباي اتعلم في مدرسة ابتدائية ببلدتي دمياط تدعى « مدرسة شمس الفتوح » لصاحبها الشاعر المجيد علي العزبي . وكان هذا الشاعر احسن الله اليه ينظم الاناشيد والقصائد المدرسية والقومية في مناسباتها ويجيد الالقاء نظما ونثرا كأحسن ما يلقى الشعراء والخطباء . وكنت مع زملائي الفرسان الاطفال الثلاثة الذين يختارون لالقاء بعض القصائد الوطنية، والاناشيد القومية في حضرة زائر كبير او مفتش قدير من مفتشي وزارة المعارف العمومية ، او لقيادة التلاميذ في اناشيدهم المدرسية التي ينظمها علي العزبي في سهولة وقوة .

وكان هذا الناظر الشاعر ، نابغة دمياط في الشعر ، وهو شاعرنا الاول ، بل (شاعر مصر الاول) في نظرنا في ذلك الحين ! وكان يشتد علينا في حفظ القصائد والاناشيد ، واجادة القائها في هذه السن الصغيرة ... وكان للشاعر علي العزبي صلة بشاعر النيل حافظ ابراهيم والشاعر امام العبد ، وطالما كان يراسلهما ويراسلانه ويداعبهما بالشعر ويداعبانه ، وهو في رقة معانيه وفصاحة الفاظه اقرب اليهما من سائر الشعراء ولكنه كان يميل في بعض شعره الى انواع البديع .. وكان القاء هذا الشاعر لا يقل قوة وجودة عن القاء حافظ ابراهيم . بل كان صوته ارق واجمل من صوت شاعر النيل ، فكان تأثيره في شباب دمياط أقوى تأثير !... »

ثم يذكر كيف عرف في صباه كتابا اشتهر بين

الناشئين في ذلك الحين اسمه « جواهر الادب » يجمع **مختار الشعر والنثر** لطائفة من المتقدمين والمحدثين ومنهم حافظ ابراهيم واحمد شوقي والبارودي ... وكان شعر حافظ اقرب الى نفسه لسهولته .. وعاطفته الباكية .. ولما نزل القاهرة للدراسة اخذ يتعرف الى شعر شوقي **وغيره من الشعراء** ....

وهكذا وجد الصبي ذو الموهبة الشعرية الكامنة ، التربة الملائمة لهذا الفرس الناشيء فنما ولم ينقطع ثمره الى اخر عمره . وكان يطمح الى ان يكون شاعرا كبيرا كالذين يعجب بهم ويقتفي أثرهم ..

ويبدو ان سحر هذه المدينة الشاعرة المتصوفة ، واثر هذه البيئة الموفورة المحاسن ، ما اخرج ذلك الموكب الحافل من الشعراء المحدثين كما حدث منذ القديم ، فمنذ مطالع القرن العشرين تسمع بتلك الاسماء من الشعراء الدمياطيي المولد والنشأة ، علي الغاياتي ، علي العزبي ، محمد مصطفى الماحي ، محمد الاسمر ، عبد اللطيف النشار ، حسن كامل الصيرفي ، محمود عبد الحي ، طاهر الجبلاوي ، طاهر ابو فاشا ، طاهر الطناحي ، محمود عماد ، محمد البدري محمدين ، سليمان عياد ، محمود ابو الوفا (الذي تعلم هناك) الى اخر الاسماء .. بل ان الكتاب والباحثين من ابناء هذه المدينة وبناتها تغلب عليهم الشاعرية احيانا فينثرون الشعر كما نرى في الدكاترة : علي مصطفى مشرفة ، شوقي ضيف ، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ، لطيفة الزيات ، جمال الدين الشيال ، محمد محمود السلاموني ، رجاء العزبي، عبده حسن الزيات ...

وكأنما ربطت هذه المدينة الام بين هؤلاء الابناء الشعراء بصلة النسب ، فتراهم على القرب والبعد متآخين متفاهمين ، يتذاكرون عهد الصبا ومسرح الشباب ، ولا يخلو ديوان احدهم من المساجلات الشعرية والدعابات ، ومن ذلك على سبيل المثال ، ما ورد في ديوان الشاعر محمد مصطفى الماحي من تلك الذكريات ، **فثمة سبع قصائد نظمها الطناحي مساجلا صديقه الماحي** او نظمها مواطنه في شخصه (٤) . فتارة يرسل الطناحي (عام ١٩٤٦) قصيدة الى الماحي بمصيفه « رأس البر » عند دمياط ، منها :

روحي على البعد فوق الثغر هائمة ... تحوم بين نسيم البر والماء
كانت لياليك بالاسعاد عامرة ... وكان ناديك موفور الاحباء
لا ضر صيفك لكني شقيت به ... فهل على البعد تشفى بعض ادوائي

الى ان يقول :

يا جيرة «الرأس» اني قد صبوت لكم ... يا جيرة الرأس هل تدرون ما دائى
كانني الطير مغلولا على قنن ... او انني الليث مسجونا بفيحاء
حسب المضاجع مني ما اعالجه ... في فحمة الليل من شوق وبأساء

ويجيبه الماحي بقصيدة ، منها :

يا هائم الروح فوق الثغر حسبك ما ... حملتني من رسالات وأنباء
اعزز به بلدا جلت محاسنه ... عن المثيل فامسى فتنة الرائي

وتارة يعقد الماحي في داره سهرة ادبية (عام ١٩٥٤) يدعو اليها الطناحي ومحمد الاسمر واخرين .. فيسجل الاسمر هذه الندوة وحاضريها في قصيدة طويلة كان نصيب الطناحي منها هذه الابيات :

ومنهم صديقنا الطناحي ... منفردا بخده التفاحي !
حسن عرفناه له من الصغر ... ايام نلهو في صبانا بالاكر
وكان في أيامنا بالمعهد ... كانه حمامة في المسجد
يسير وهو رقة وخير ... منصرف للدرس ليس غير
حتى غدا في أفق الهلال ... يضيء بالقصيد والمقال
يختار ما يختاره او يكتب ... ويسهر الليل له ويدأب
وهكذا كان زمان الدرس ... يصبح بين كتبه ويمسي
كان هلالا ثم أمسى بدرا ... يجلو لنا الهلال شهرا شهرا .

ويعود الماحي فيدعو اخوانه في العام نفسه الى زيارة داره الجديدة بالقاهرة فيحييها الطناحي بقصيدة جاء بها:

دمياط تزهو أنها بك ... للجمود محاربه
والجود يترجى في ربوعك ... جيشه وكتائبه

وارتحل الطناحي الى القاهرة عام ١٩٢٢ ليتابع دراسته وليبدأ حياته الجديدة ، ويتعرف الى الاوساط الثقافية ويستقر بالعاصمة بقية العمرُ .. والتحق اولا بمدرسة القضاء الشرعي وبقي بها ثلاث سنوات طالبا يدرس الشريعة والفقه واللغة .. والغيت هذه المدرسة عام ١٩٢٥ فانتقل منها الى « دار العلوم » ليتخرج مدرسا للغة العربية . ولكنه تركها بعد ان امضى بها ثلاث سنوات اخرى مفضلا الاشتغال بالصحافة والقلم على التدريس وقيوده .. وهو منذ قدومه الى القاهرة متصرف الى الادب وبخاصة الشعر ينظمه ويقرأ دواوينه ويسعى الى مجالس الشعراء من معاصريه وفي مقدمتهم شوقي وحافظ ابراهيمُ وخليل مطران والعقاد والمازني وعبد المحسن الكاظمي وغيرهم ...

وحدث في أوائل عهده بدار العلوم ان سرت حركة بين طلبتها تدعو الى المساواة بينهم وبين اخوانهم بالمعاهد الاخرى في الانظمة والدرجات والزي ايضا ، وكان طلبة دار العلوم ما زالوا يلبسون القفطان والعمامة ويخضعون للانظمة والمناهج التقليدية القديمة التي رسمتها « وزارة المعارف » ، فطالبوا بالاصلاح وعارضتهم تلك الوزارة وحاصرت الشرطة معهدهم ، واستعان الطلبة بالصحافة ، وراح الطناحي يكتب بجريدة البلاغ عن قضية دار العلوم ووجد من صديقيه عبد القادر حمزة صاحب الجريدة وعباس العقاد محررها الاول كل تعضيد .. واضطرت الوزارة الى الموافقة وارتدى طلبة دار العلوم الزي العصري، وتمرس الطناحي بالصحافة واقتحم ميادينها ..

وهو يقص عن صحبته مع الشعراء في تلك الفترة كيف اخذ منذ نزوله بالقاهرة يبحث عن شعر حافظ ابراهيم في الصحف والمجلات ، وكان الشاعر شوقي ما يزال مغتربا بالاندلس .. « .. وكان ديوان حافظ ابراهيم في طبيعته الاولى اول ديوان اشتريته وقد حثني على

شرائه ما قرأته من شعره في مجلة الزهور لصاحبها انطون الجميل حينما كنت اتردد على قاعة المطالعة في دار الكتب المصرية ، وما رأيته في « المجلة المصرية » و « الجوائب المصرية » اللتين كانتا لشاعر القطرين خليل مطران في اوائل هذا القرن .. » ، ثم يذكر ما كتبه مطران عن شوقي في مجلتيه وما كان من حديث عبد المحسن الكاظمي عن البارودي وثنائه على شوقي .. ثم عن زياراته لشوقي بعد عودته وذكرياته معه ومع حافظ مما تناثر في كتابه « شوقي وحافظ » السالف الذكر ..

ومنذ عام ١٩٢٨ اشتغل الطناحي بالصحافة كاتبا ومحررا ومديرا للمجلات ، واستقر بدار الهلال حتى اليوم الاخير من حياته ، اي قرابة اربعين سنة . ولقي لدى بدئه بالعمل بتلك الدار من رئيس تحرير مجلتي « الهلال » و « كل شيء » يومذاك المرحوم سلامةموسى ، ومن رئيس تحرير « المصور » الاستاذ فكري اباظة كل رعاية ومعاونة .. ثم تولى رئاسة تحرير مجلة « الدنيا المصورة » فيما بين ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ ثم مديرا للهلال منذ عام ١٩٤٣ ولكتاب الهلال الشهري واعداد المصور الخاصة .. كما كتب بمجلة « الاثنين » . وكثيرا ما كان يوزع كتاباته بين مجلات هذه الدار جميعا ويكتب في مجلات ادبية اخرى خارج هذه الدار . وتنوعت موضوعاته فكتب القصة المستوحاة من التاريخ العربي ، وكتب في النقد الادبي والشعر ، ونشر الاحاديث مع مشاهير الادباء واعلام المجتمع والساسة العرب المقيمين والزائرين .. واستكتبهم المقالات والاجابة على شتى المسائل وسرد الذكريات .. واعانه على النجاح في مهنته وبالتالي على رواج المجلات التي عمل بها ، مواهبه الصحافية والادبية ، وصداقته عن الخصومات الحزبية والمعارك النقدية ..

ويصف بعض زملائه في تحرير هذه المجلات ما كان عليه الطناحي من حماسة في العمل واخلاص ، فيقول فكري اباظة : (٥)

« .. خير ما يقال فيه انه طار بمجلة الهلال كل مطار ، فصعد بها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا بالكيان العربي ، ثم شق بها الحدود فعبر البحار الى امريكا الجنوبية فدخلت كل بيت من بيوت المهاجرين العرب .. واندلع الفقيد باعداده الخاصة : « نحن العرب » نفس الاندلاع ... وكان رحمه الله لا يعرف المستحيل ، وكم انعقدت جلسات ثائرة بيننا وبينه ذات ضجيج وعجيج ولكن ايمانه بما استقر في ذهنه وفرط حماسته لواجبه وعزيمته الماضية ، كان هذا وذاك هو سلاحه الماضي الذي اجهز به على المستحيل .. »

ويقول زميله صبري ابو المجد :

« .. كان المصور يحتفي بأحاديث المسؤولين مع طاهر الطناحي ويعطيها اهمية بالغة . وللحق كانت هذه الاحاديث كلها تتسم بالصدق والامانة . فما يقوله السياسي يكتبه الطناحي بلا زيادة ولا نقصان . ولهذا فلم يحدث ولو مرة واحدة أن حدث تكذيب ما لحديث اجراه الطناحي مع كثرة ما اجراه مع المسؤولين من احاديث . وجمع الطناحي الى قدرته على الحصول على الاحاديث الهامة قدرة اخرى فائقة على انتزاع المذكرات السياسية من كبار الشخصيات .. ويشهد التاريخ ان الطناحي لم يكن في هذا المجال كاتبا لمذكرات سياسية يمليها زعماء سياسيون بقدر ما كان معلقا ومؤرخا للاحداث الهامة التي جرت في المسافة الزمنية التي تناولتها المذكرات السياسية .... »

والواقع ان طاهر الطناحي زود المكتبة العربية بعدد من مذكرات الاعلام الذين عرفهم وعاصرهم او من السابقين لعصره ، واشرف على تحقيقها والتعليق عليها والتقديم لها ، فما لبثت ان صارت مراجع للنقاد والمؤرخين .. وقد جمع من كلمات الرئيس جمال عبد الناصر وخطبه مجموعتين نشرتا بكتاب الهلال ، الاولى بعنوان « قال الرئيس » ١٩٦٠ و « هذا طريقنا » ١٩٦١ .. ونشر كتابين للسيد انور السادات من ذكرياته : « اسرار الثورة المصرية » و « قصة الوحدة العربية » ١٩٥٧ .. وكتابا عن : « فلسطين والضمير الانساني » لمحمد علي علوبة ١٩٦٣ .. كما نشر مذكرات لطفي السيد « قصة حياتي » و مجموعة من مقالاته القديمة ١٩٦٣ .. ومذكرات عبد العزيز فهمي « هذه حياتي » ١٩٦٣ .. ومن مذكرات عباس محمود العقاد : « أنا » و « حياة قلم » ١٩٦٤ ومن قبل « رجال عرفتهم » ١٩٦٣ .. ومذكرات نجيب الريحاني ١٩٥٩ ومذكرات اسماعيل صدقي ...

وكذلك اشرف وحقق للسابقين : مذكرات احمد عرابي ١٩٥٣ .. والشيخ محمد عبده ١٩٦١ واعترافات تولستوي ... وكان يكتب المقدمات لهذه المذكرات ويضع احيانا التعليقات والايضاحات مما يسر على الباحثين والنقاد دراستها والرجوع اليها ..

اما ذكريات الطناحي الخاصة عن اعلام الادب والمجتمع العربي واحاديثه معهم فلم تزل متفرقة في مجلات دار الهلال وغيرها ، ويخرج من مجموعها مجلد كبير او اكثر ينتفع منه النقاد والمترجمون للاعلام .. وكان قد نشر قبل وفاته كتابا سماه « ساعات من حياتي » ضمنه بعض ذكرياته الخاصة ..

ويلاحظ من مجموعة مؤلفات الطناحي المطبوعة والمخطوطة ـ وهذه الاخيرة نشر بعض فصولها في المجلات ـ ان اهتماماته كانت تتجه نحو ثلاثة من ابواب الادب اولها : الترجمة لحياة المشاهير في الفنون والاداب والوطنية وما يتصل بها من احاديث وذكريات ورسائل وغراميات .. وثانيها : القصة ، وثالثها الشعر ..

وفي باب التراجم وضع عام ١٩٣٩ مؤلفا عنوانه « على فراش الموت » .. اعاد طبعه (في كتاب الهلال الشهري يناير ١٩٦٢) باسم : « الساعات الاخيرة » ، تحدث فيه عن حياة طائفة من اعلام الشرق والغرب ، في ايامهم او ساعاتهم الاخيرة قبل الوفاة وهم : النبي محمد عليه السلام ، والشيخ محمد عبده ، ومصطفى كامل ،

والشيخ علي يوسف ، وتوفيق البكري ، وباحثة البادية ، ومي زيادة ، واسماعيل صبري ، وحافظ ابراهيم ، واحمد شوقي ، وحفني ناصف ، والمنفلوطي ، وخليل مطران ، ومن اعلام الغرب : تولستوي ، وبيتهوفن ، وموزار ، وبوشكين ، وفان جوخ ، وادجار الن بو ..

وقدم المؤلف لهذا الكتاب بما سماه « نظرات » في فلسفة الحياة والموت ، وفي بقاء الروح ، وفي ان الموت لا يخيف ، وفي الحب والموت . وتتضمن هذه المقدمة فلسفته وآراءه في الموت والروح ..

ثم نشر عام ١٩٥١ كتابا بعنوان « الحان الغروب » ضمنه بعض التراجم للراحلين ..

وصدر له كتاب طريف سماه « حديقة الادباء » ترجم فيه لعدد من معاصريه الادباء والفنانين بأسلوب تصويري تحليلي رمز فيه لكل اديب منهم بنوع من الطير او الحيوان يشاركه في بعض الميول والخصال .. فكان الشاعر ابراهيم ناجي سنجابا ، ومحمود تيمور هدهدا ، ولطفي السيد نسرا ، وعباس العقاد عقابا ، وأم كلثوم بلبلا ، وطه حسين كروانا ، ومحمد عوض محمد تمساحا ، وميخائيل نعيمة طاووسا ... وهكذا .. وهذه التشابيه او الرموز وان كانت (وجهة نظر) خاصة بالمؤلف فقد جاءت مقالات هذا الكتاب لوحات فنية بارعة ..

وبعد كتابه « حياة مطران » المنشور عام ١٩٦٥ من امتع مؤلفاته واقيمها فهو دراسة مستفيضة في نحو اربعمائة صفحة تتناول حياة الشاعر خليل مطران من مولده في بعلبك عام ١٨٧٢ الى وفاته بالقاهرة عام ١٩٤٩ بكثير من التفصيل والتحليل ، وتصور شعره ونثره وما اصدره من المجلات واسهامه في الحركة الوطنية وفي الخدمات الاجتماعية ، وآراءه في الحياة والحرية والحب والوطنية ؛ وصلاته بالادباء والفنانين ، والوطنيين والمجاهدين .. وتتناثر في الكتاب ذكريات المؤلف الخاصة عن مطران واحاديثه معه ، مما يضيف الى التراجم المتعددة عن هذا الشاعر ، الكثير من الجديد والذاتي المبتكر ..

ولا يقل كتابه « شوقي وحافظ »[3] الصادر في مايو ١٩٦٧ عقب وفاته باسبوعين ، اهمية عن كتابه السابق ، فقد ضمنه الناحيتين الموضوعية والذاتية في حديثه عن احمد شوقي وحافظ ابراهيم وكان يلتقي بهما كثيرا ويسجل احاديثهما وذكرياته معهما خلال السنوات الطوال .

وكان يعد كتابا عن مي زيادة يضمنه احاديثه معها ورسائلها التي كانت تتبادلها مع معاصريها الادباء ومنهم ولي الدين يكن ولطفي السيد وعباس العقاد وباحثةالبادية وغيرهم . وكان قد نشر بمجلة الهلال الكثير من هذه الاحاديث والذكريات ومقتطفات من تلك الرسائل .. كما ذكر انه يعد كتابا عن حياة المازني وغرامياته .. وعن غيرهما من الادباء الذين عرفهم .. (٦)

وفي القصة ظهر له كتابان اولهما « على ضفاف دجلة والفرات » ١٩٤٦ — مجموعة من خمس عشرة قصة عربية من قصص الادب والتاريخ والحرب والسياسة — نشر معظمها في مجلات دار الهلال في الاربعينات ثم اعاد نشر هذه المجموعة بعنوان : « معارك السيف والقلم » . .

وثانيهما قصة : « امير قصر الذهب » (سلسلة اقرأ يونيه ١٩٤٨) وذكر المؤلف في مقدمتها انها من قصص الحضارة العربية او قصص الحياة الذهبية في عصر الترف والذهب ، والمتاع والطرب ، ورخاء الفن والادب . وبطل هذه القصة ابراهيم بن المهدي الذي يسكن قصر جده ابي جعفر المنصور المعروف بقصر الذهب في بغداد ، وهو فنان شاعر موسيقار ، ولهذا ساد القصة جو الشعر والغناء وخرجت قطعة من الادب العربي الرفيع ..

وكان الطناحي — كما سلف القول — قد بدأ حياته الادبية منذ صباه شاعراً ينظم الشعر ويحتذي كبار شعراء العربية القدماء والمحدثين ، ولم ينقطع عن النظم طوال حياته وان كان مقلا بسبب اعبائه الصحفية . فكنت ترى له بين الحين والحين على صفحات « الهلال » او غيره من المجلات ، قصيدة وجدانية او مرثية ، أو منظومة يرسلها في احدى المناسبات القومية .. كما كان يتراسل او يتساجل مع صحابه الشعراء بأبيات الشعر الرقيق ، وقد نظم في الغزل والوصف والحنين الى الوطن وفي رثاء الراحلين من الاصدقاء وترجم نظما بعض المقطوعات الانجليزية في الحكم والنصائح .. وكان اخر قصائده التي فرغ منها قبيل وفاته بساعات مرثيته في صديقه دكتور امير بقطر وكان مزمعا القاءها في حفل تأبينه ..

ولم يجمع شعر الطناحي في ديوان شامل بعد ، سوف يضم الكثير من ذكريات شبابه وشيخوخته ، ويجتمع فيه القديم والجديد ، والابتكار والتقليد ، ويسجل عددا من المناسبات التاريخية الادبية والقومية ..

وفي النقد الادبي كتب الطناحي وفرة من المقالات وتحدث عن المؤلفات والمترجمات ، وكان بعضها بلا توقيع .

ولا شك ان جمع كل ما نشر الطناحي في الصحف والمجلات من فصول ومقالات ، واحاديث وذكريات ، وما ترك من شتى المخطوطات وتبويبها وطبعها في مجلدات ، سوف يزود النقاد بالكثير من المعلومات عن الاعلام المعاصرين والحركة الادبية الحديثة ..

واخيراً ، انتقل طاهر الطناحي الى عالم البقاء في صباح ١٤ من ابريل ١٩٦٧ ، وكان قد ادى الصلاة وتهيأ للخروج الى عمله كعادته ، وشيعت جنازته في اليوم التالي من داره بمصر الجديدة ، وامست حياته منذ تلك اللحظة صفحة من تاريخ الادب العربي الحديث .

الاسكندرية **نقولا يوسف**

---

(١) « تاريخ دمياط منذ اقدم العصور » لنقولا يوسف — ط — القاهرة ١٩٥٩ و « اعلام دمياط » نشر فصوله موجزة بجريدة « اخبار دمياط » بين عامي ١٩٥٠ — ١٩٦٦ (٢) مجلة الاثنين — دار الهلال — ١٦ مايو ١٩٤٩ ص ١٠ (٣) « شوقي وحافظ » للطناحي — كتاب الهلال الشهري مايو ١٩٦٧ ص ١٥ — ١٧ (٤) ديوان الماحي ١٩٥٧ ص ٢٣٦ و ٢٤٣ و ٢٤٥ و ٢٦٨ (٥) كلمة لفكري اباظة في المصور ٢١-٤-١٩٦٧ ومقالة به لصبري ابو المجد — واخرى له بالهلال مايو ١٩٦٧ — (٦) من رسائل الطناحي الخاصة لكاتب المقال ..



مشهد من مسرحية العباسة

العباسة ، عاتكة في غرفة من غرف القصر العباسي

●

العباسة :

اجد اللسان بما يجن — الصدر لا يشفي اللسان
وأرى البيان بما يكن — القلب ، لا يغني البيان
وجد كمعتلج الضنا — عن حمله ضاق الجنان
ولواعج تفري بأوجاع — كما يفري السنان
ماذا يفيد توجعي — ان كان لا يشفي البيان

عاتكة :

ما في التوجع حيلة — تغني سوى مضض الهوان
الحر من لمس الجراح — ندية لمس البنان
ودموعه بجفونه — لم تنحدر من عنفوان

العباسة :

تبغين مني الكبرياء — وأين مني الكبرياء
برح الخفاء ولم يعد — يجدي على شوق خفاء
قد كان لي قبل الهوى — في كل ميدان لواء
وحشاشة سطعت بمؤتلق — كما ضاءت ذكاء
ران الضنا بجرانه — وثوى بها الداء العياء
واليوم أين مع الجوى — جلد وأين الكبرياء
قد كان يزجرني الحياء — عن الدنية ، والاباء
برح الخفاء ولم يعد — يغني على وجد خفاء

عاتكة :

ان الكرامة بالدم — المهراق كانت تفتدى
الحب دون كرامة — ما كان شيئا يشتهى

العباسة :

هيهات يغني الكبرياء — مع الهوى أو ينفع
حكم الهوى متمكن — كالطود لا يتزعزع
ينهي فتأتمر القلوب — كما يشاء ، وتخضع
والنفس من عجب — لأشجان الصبابة تنزع

دمشق — عدنان مردم بك

ـ « سيعود الغرباء ، ويصفق القصب على مياه البرك للغمامات الواطئة . والمدينة المهجورة ستضحك كحانة . الزمان لا يخلع حذاءه ايها العجوز .. »

هكذا قالت لي النافذة وهي ترفع قبعتها لطائر مهاجر حياها بريش ذيله المطور بالليلك .

هجرنا المدينة التي خجلت من الصلاة للشمس انا والربيع والحب .. حملتنا الى هذا الريف نسمة حزن بين مناقيرها الدافئين. كانت اللعنة تغسل ابواب المدينة وساحاتها بالدم ، وتقطف النجوم المزيفة وتصهرها في عيون الزنابق ، والازقة الضيقة تحصي اطفالها كشجرة لبلاب مثمرة وتهرب في احشاء الظلمة الغبية . ايام طويلة وابراج الاجراس مقطوفة . المدينة لم تلد شيئا ، ولو صفيرا ثكلة . وليس في الغيم سنبلة ممتلئة تفرك ريشها كشاربي مقامر اشقر وتكرع الضحك . والناس في الصوامع التي كانت مهجورة تصلي لقطرة يتيمة تنهل من السماء كحبة « منديلنا » وتغتسل ابراج الساعات الشاهقة من الوحل ، وتفض شقوقها الداكنة بالعصافير الملونة من جديد .

الزمان في هذا الريف يعلق وعل الفجر المشرد من قرونة المتشابكة ، ليذبحه ، ويرش دماءه في نافذة منزلي المطل على جسد الخضرة الصبية . نافذة هي الشهوة ! تغرس اصابعها حتى الرسغ في صدر الافق ، وتعتصره بدون رحمة ، ثم ترقص عارية للرياح المسافرة الى المنفى . بشراهة البئر تشرب الذهول ، وتحجز لي منذ البكورة مقعدا في مسرح الدهشة ! تغرسني فيه كغابة وحشية الجذور تمتص شفة الشمس . فاغوص بفلاصمي ، اشرب المد والجزر . ومع العتمة تغمض اجفانها كاميرة مسحورة تخاف جني الليل ، واسقط في سريري كدمعة العاشق .

مدينتي الجديدة هي النافذة ! غالية كالاحباب ، لكنها مستعارة . والحياة كذلك ! ساردهما يوما ، واهرب بلا دموع ولا ايد تلوح لي . منذ ساعة فقط تفتحت ريحانة النهار . كانت احلام المدينة تندف على وجه النافذة ، وشيخوختي تلفها بالاحلام . ان مقعدي في مسرح الدهشة تتسكع في مطاويه اشعة الشمس . لم اعد اطيق ! كيف احصد النجوم ؟ . كيف اسمع همسات النسوة وهفهفة اثوابهن المترفة في القصورات والمخادع النبيلة ؟ . كيف ارى ضحكات النهر طافية تراقص براعم التفاح المتساقطة ؟ .. لقد احسست منذ البكورة ان احلامي تتشبث بعكاز منخور وتعرج . ان الظلمة وحدها (تكرج) بلا سراويل في ازقة المدينة وساحاتها . والحسرة هي التي تتكرر .

★

صاحت بي النافذة على بغتة : « كوكبة تشق الافق . اختف ! جاءوا ليخطفوك » . وسقطت مكدودة على الالواح الخشبية . قالت لي ذات مرة انها مفرمة ب « بادن باول » ، وراحت تنضح عرقا غزيرا . الغيرة لم تزرنا قبلا ، وهي الان في عينيها نبات طفولي يتكاثف ويصبح دغلا .

الكوكبة من بعيد سنجاب يعدو بخفة ، تتبعها سحابة غبار ترعش كغلالة رقيقة . منذ ايام طويلة وانا اهاجر في ازقة الغربة ، لا يزورني سوى الشوق . يمسك بقلبي بين مخلبيه ، ويعتصره بقوة ، ثم ينمحي كل شيء ويسترخي في الظلمة . من سيزورني ؟ ... ان اهل المدينة لا يسافرون



بقلم « عاشق »

في غير دروب اللعنة . نصبت النجوم المزيفة جدارا في وجه الرياح والغمام الابيض . والامير الحبشي شق فخذي المدينة كجناحي فراشة ربيعية ، وراح يسكر . يقال « ان للجلاد شاربين يحتطبون منهما » .

ورحت انتظر الكوكبة . كانت عيناي خيطين من المطاط تنشدان ثم تنقذفان بسرعة في وجه الافراس التي لم يبد لها لون مميز . وهاد كثيرة تنتظر معي وتلهث . والكوكبة تمور في طياتها كدلفين البحر . ما يزال النهر يتجدد تحت جسره الخشبي ، والريح تصفر في شقوقه ، وتمد للكوكبة اجنحة الدهشة . قالت النافذة وهي تفرك عينيها بشدة : « ان البحر حين يلقي على الرمال بجثة ، تكون ميتة ! وليس من « بينلوب » تنكث غزلها من اجلك ايها العجوز » .

وادركت انني امرؤ بلا قرار . السراب وحده يلوح لي من الابعاد المبهمات ويدعوني اليه . تمددت كالهم في الصدر . مناري مطفأ وانا الوب في الخيبة . من لي بنزر من تراب المدينة ، اتمصصه بين شفتي ، اضمه ، احنو عليه ، ابكيه ! . وحدي في هذا العالم انتظر عودة الامس لامتطي عتمة خضمه ، واتحلل في نهر المدينة ، منزلقا الى مصبه مع قشور الموز والاوراق الذابلة ، طافيا كشبح خلف النوافذ المغلقة على الاحباب ، مرتجفا كحبة ثلج على قرميد الاسطحة الاحمر .. ولكنني احسست فجاة ان الحلم انما ادركني ليؤذيني فقط ! وانني اريد ان اتلمس جدران المدينة بكفي ، واسقط .

★

قلت للزائرة بعد صمت طويل :

ـ « تدعوني الى المدينة ، ثم تقولين ان وهج الشمس يحرق قاع النهر ؟ ماذا تبقى لي في المدينة اذن ؟ ان الشتاء ما يلبث يحمل عصاه ، والبحر قادم ليبتلع المدينة ، كل شيء . ان النجوم لأ تقهرها الاكف العارية . العاجز تنهشه شهوته حتى يموت . اعطيني فرسا وسيفا وانظري كيف افتح العالم ! . ماذا نستطيع نحن غير الانتظار ، الانتظار على الابواب التي لا تفتح . لا !! لم تنته ايام الهجرة بعد ، ولن القي شعرا في مهرجان المدينة . انهم لا يريدون شعرا !! هذا آخر ما يفكرون فيه . انهم يريدون هتافا للامير الحبشي الشبق . هتافا ولا شيء آخر.

ـ « ولكنه يبحث لنا عن الزهر . لذلك يهتفون » .

ـ « للزهر ؟ . انهم لا يهتفون للزهر يا عزيزتي !! اما انا فلن اهتف . تكفيني نزرة من الحب ، أقتات بها . اشد حزامي واركض في الحقول . الوي عنقي للاغصان المتدلية كالجدائل . اتلفف بعشب الارض واعقد قراني عليه . بانفي اثقب الافق . ابترد بالضباب . ابكي . اتمايل مع الريح كنخلة . اجمع الحطب من قرم الزيتون . اراقب الفصول الاربعة . الطم الشتاء بنعلي . ادخن واشرب القهوة . ولكنني ما زلت اتنفس ، اتنفس من هواء نقي . نسمات لا ادفع عليهن مكسا . وسابقى في هذا الريف . اعب من صدره اعتصره حتى الابطين ، الى ان تقصفني مع زهرات الحقول الريح » .

ـ « بل سيقصفك الشوق ، وتلهث في عينيك المناجم المحترقة . تجوع وتعرى وتتفسخ معدتك ونواجذك من حشائش الارض. بطيئا بطيئا يتقدم الموت مشردا مع الفصول الاربعة وتصبح بعدها زنخا ، كومة من روث . ان غربتك بلا جذور . لقد تعرت غابتك وانجرفت مع الطوفان . ارجع الى المدينة .



من دم الزهر

●

الشتاء الـدوي ، والظلل الخضر   تسربن فـي الشتـاء الـدوي

وهرير اللظـى بصدري ، وريـح   زفزف في نقوش حلمي الخفـي

وكانــي مقفص ! وأعانــي   الفجء .. يا فجء أنت أنت نجيبي ؟

خطفـات الضياء أين ! تلفـت   اليهـا فلـم اجـد مـن جنـي

كل عمري ، وكل عمري وفـاءات   قبـور لكـل عهـد نبـي ...

المي .. المـي الشبابيك . مـن   خلف الشبابيك كـل لحـن أسي

أي بحـر معلـق بالمصابيـح   تهزهزن مـن قصي قصي ؟ ..

جـزت بحـرا خرافـة .. وتعثرت   بظنــي وبالضيــاء النقـي

وأرانـي اعــود في زعمــات   حامــلا كبريـاء عمري الشقي

... ويطل الصباح . ما نمـت .   والغرفة ظلتفوضى الحرير الشذي !

حلب   علي الزبق

واحسست اني ابتلع دما وسياطا شائكة. منذ ساعة فقط كنت اشـد جلدة صدري واتحسس نقرات الشوق . كانت النافـذة تفتح جفنيها بوحشية عجيبة ، وفي عينيهـا قبور العالم المهجورة تتفجر في وجهي بعظام دبقة . غيرتها تطن كنحلة امام الزائرة الغريبة المتكئة على حافة السرير . انني اتلف نفسـي بخوف لا استطيع مجابهته . لا بد من يـوم احمل فيه دفاتري وشوقي واحذيتي المهترئة تحت ابطي واعود .

وراحت تدغدغني اشواق المدينة . قدماي ما تزالان صقرينقويين يهربان بي متى اشاء ! وكدت اقطف عقلي كزهرة واهديه لسفيرة المدينة ، ولكن ازهارا كثيرة تفتحت في قلبي لا استطيع لها قطافا . ماذا لو احلحل المدينة في كأس من النبيذ الاحمر واعبهـا دفعـة واحدة ؟ امسك جدرانها بجفني . اخلع قلبي كالحذاء وادفنه في طين النهر . ثم انـام ، انام حتى آخر الدنيا .

قلت للزائرة : « ساكتب قصائدي اليوم وادق بها باب المدينة الموصد غدا !! الحـب وحده صيرني رملة في طين النهر الهادر ، ومن اجله سأزحف ، أبحـث بين فضـلات المدينة عن قلب كان ينبض بين جنبي . للحب وحده سأتعلم كيف انهق بين الحمير . ان العواطف كالحياة ليس لي فيها من الامـر شيء » .

كانت النافذة تدخن بعصبية ، وتتصبب عرقا . عواطف العاشق لا يفهمها سوى عاشق آخر . وليس باللسان يستطيع العاشق ان يعبر .

★

مقعدي في مسرح الدهشة بارد . هجرته الشمس . النافذة قصيدة ممزقة تنتظر نسمة حزن تشردها . عيوني آبار مفتوحة تلوب ، لعل في زوايا الافق ما يلهمني بشيء اكتبـه للمدينة ! كان عقلي فراشة تحوم ، وليس في سرحة النظر زهرة واحدة تسقط عليها . فجاة سكنت الرياح . فجاة تيبست الفراشة، حالت الى حصاة سوداء . فجاة شلت ميـاه النهر تحت الجسر الخشبي . الذهول وحده يتورم ، يستنقع فـي الارض ويشدهني . سأتغزل بالزهر ايتها النافذة . ان المدينـة تريد ذلك ! عزيز علي ما تريده المدينة .

سقطت في المقعد بــلا ضجة . بالعادة تابعت التنفس . بين يدي قصيدة قديمة . وغيمة في عيني لا تمطر . القصيدة واد ضيق المسالك يرقد في احضان العاصفة . مغاراته تتبرج فيها الطلاسم . هكذا احب الشعـر ! وعرا كالانسان . ورحـت اردد القصيـدة، امص حروفها كقصب السكر . حينما انضب اقرأ قصائدي القديمة وابكي . تكفيني لحظة من التأمل المطلق مع الشعر لتتحلل عذوبـة الدنيا في عيني ، وتسترخي مفاصلي بـلا نهاية . وانا اليوم ناضب كرملة ! حركينـي ايتها الرياح ! دغلت في حلقي غابة شوك » .

وعبثا تحاول النافذة ان تسوط قفا الريح. قالت بيأس مفضوح : « من قلبك فقط تتحرك الرياح ! » . واعتلت حبال الصارية . غلفلت عيناها في الافق المعتم . الصمت تناول مخدرا وتمدد .

« عاشق »



جورج بوخنـر

جورج بوخنر رائد المسرح الالماني

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

اذا كان الادب الفرنسي يعتز بالشعر والاقصوصة والادب الروسي بالقصة فالادب الالماني يعتز بالمسرح وبأدبه المسرحي في القارة وفي القرن التاسع عشر على التحديد . ولهذا الاعتزاز ما يبرره ، فهو يستند الى واقع حي .

وإذا كانت المدرسة الطبيعية – في المسرح – قد زهت وربت على يدي اوغست سترندبرغ وابسن – في السويد والنروج – في اواخر ذلك القرن فان اول من ارتاد عالم المساكين وابناء السبيل في النتاج المسرحي هو جورج بوخنر (١٨١٣ – ١٨٣٧) وهو بذلك لا يعد الرائد ورأس النفيضة وصدر الطليعة في هذا الحقل حسب ، بل القوة الحية التي حركت الامواه تحت الكثيف من جبال الثلوج ، فانهارت هـذه الجبال وتبددت .. وجرت المياه انهارا وبحارا ومحيطات .. واذا بتقاليد العظمة المسرحية – في التراجيديا والكوميديا على السواء – تتبلبـل وتتململ وتتشقق واجهاتها .. عن صور مزيفة للواقع ، وبراقع ممزقة لمضامين هذا الواقع ، واذا البهاء الارسطي ، بهاء المسرح التقليدي يتبدى على حقيقته ، ذلك ان الانسان ليس مقلدا لمثل ولا طينة معجونة في قوالب . انه قوة حية دافقة ، تريد – في احط درجاتها واشدهـا انغماسا في القذارة والسماجة – ان تكون تلك القوة التي يجب الا تبقى فيما هي فيه من تدهور – فقد كفى الانحدار – فليس حتما ان يظل المنحدر املس . والازمان قد تغيرت وتبعتها في ذلك البيئـة والمحيط ، واصبح جريا على ذلك التتابع المنطقي ، ان ينهض الانسان مما آل اليه .. وان ينهض متضامنا مع اخيه الانسان .. ضد من سلخ منه انسانيته وابقى عليه حيوانيته ، ضد النظام الاقطاعي الجائر الذي كان سائدا في المانيا الممزقة الاشلاء في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ..

ها نحن بين سنتي ١٨١٥ و ١٨٣٠ ، وها هو نابليون ، الزلزال الذي طحن اوروبا بعد ان نسفها ، قد استقر به المقـام في جزيرة القديسة هيلانة .. وها هو الشعب الالماني المسكين ينفض عن كاهله غبار الذل والاستكانة ، وينهض متثاقلا متكاسلا .

ولكن ، ويل للفقر والحرمان والجوع ، ويل لهذه الافات الجامحات الجائحات ، انهن الان يغزون المانيا من اقصاها الى ادناها ، فتجف الضروع ، وتيبس الزروع وتندر الغلة ، ويضرب الشحوب وجوه الناس ضربا مبرحا .. وتستحيل الحياة – بالقياس الى سـواد الناس – جحيما لا يطاق .. ويظل الامراء ورجال الكهنوت متمسكين بحقهم في الحكم والسيطرة والهيمنة .. ومع ان المانيا ، قد وضعت حدا لسيطرة الكهنوت الكاثوليكي ، الا الكهنوت البروتستانتي ، سرعان ما تسلم زمام الشركة السلطانية .. وكان ذلك حقيقة واقعة منذ عهد مارتن لوثر ، الذي جند نفسه ببيانه الشهير مع الامراء في قهر ثورة الفلاحـين الشهيرة التي حدثت في عهده .. وبذلك وضع حدا معقولا وتبريـرا اصيلا لثورته العارمة على البابوية ، لتكون مثالا يحتذى بعده ، على ايدي رجال الكهنوت الالمان البروتستانت . وهذا ما حدث وبصورة فظيعة على مدى القرون التي اعقبت ثورة لوثر ، والتي كان من عقابيلها حرب الثلاثين سنة التي ابدع في وصفها واجاد الكاتب المسرحي الالماني العظيم برتولت بريخت في مسرحية « الام الشجاعة واولادها » .

والناس الذين قارعوا نابليون ودحروه ، مع الحلفاء ، وخلصوا البلاد من شره ماذا كان مصيرهم ، بعد ان قدموا حشودا لا تحصى من الضحايا ، قرابين باردة على مذبح الحرية الدافيء ؟ لم يجدوا الا انفسهم وقد حرموا من ابسط حقوق العيش النظيف ان من مات منهم ذهب لحال سبيله بطلا وطنيا قارع الظلم والطغيان والعدو الغاشم فاركهم جميعا ، اما من ظل راسفا في قيود الحياة ، فقد استلبت منه مقومات الحياة ، فلا لقمة يتبلغ بها ، ولا شرعة يستند اليها ، ولا شريعة تحميه .. فسموم البطالة تعصف به ، والارض الجرداء تئن من الجدب ، والخراب الشامل يحل ضيفا ثقيلا على الارض الالمانية باسرها . وتحل الاوبئة والامراض المعدية ليكون لها حصتها !

ويهبط في هذه البيئة الدكناء ، شهابصغير ، في مدينة دارمشتاد ، ويسمى جورج ، وسط اسرة بوخنر ، سليلة الاطباء ، ويكبر الطفل ليدرس الطب كأبيه واسلافه . ويظل يتنقل من بلد الى آخر .. متدرجا في علوم الطب وغيرها من العلوم ، ولكن الشهاب المتفجر حيوة ، وقدرة وقابلية .. هذا القلب الكبير في الجسم الصغير النحيف ، لم يمتهن مهنة ابيه . انما لم يجد بدا من ان يمتهن مهنة اخرى ، هي والطب صنوان ، هي مهنة تطبيب امته المريضة ، الملايين الجائعة الى الاحترام والى الخبز والكرامة ، الملايين التي دفعت ضريبة الدم الغالية ، واذا بها يراد منها – وقد رفعت الحرب اوزارها – يراد منها ان تكدح وتستمر في الكدح من اجل الكدح ، وان تنسى ان الانسان ما ينبغي ان يهان ، وما ينبغي ان يحقر ويدان ، من غير حجة وبرهان !

ان قلب هذا الطبيب الجراح الذي لا بد له ان يحمل بيده المبضع آمنا مطمئنا لا يرتجف له رمش ، قلب انسان آخر ، هو والرقة واللطف والانسانية والمشاركة الوجدانية العاطفية وحدة منسجمة تعبق بالحنان والود وروح الفداء والعطاء والبذل والسخاء ..

ها هو ذا ينتصر لاناس لا تمت له بهم صلة .. سوى صلة الانسانية المقدسة . ها هو ذا الطبيب ابن الطبيب سليل الاطباء . من هؤلاء الذين يعيشون في رفاهية على مدى الايام وفي مختلف الاقطار يتبرع بحياتـه دفاعا عن الحق الهضيم ..

ها هوذا يدخل المعركة بل الممعة والحرب العوان ، اعزل مـن السلاح ، عامر القلب بالايمان بنصرة الضعفاء والمستضعفين في الارض ، .. وبيده قلم يرفع رأسه تارة لينخفض تارة اخرى وهو مطارد مـن المجتمع الذي يريد ان يسمع صوته فلا يصيخ اليه ومن سدنة المجتمع والحاكمين بأمرهم .

اراد ان يفعل شيئا من اجل سواد الناس ، ولكن السواد لم تفهمه ولم تحاول حتى ان تتفهمه ، فذهب صوته سدى بددا ، وخاب ظنه في شعبه وفي نفسه ، وجعل يطوف في هذه البلدة وتلك في بلاده الواسعة ، وهو لا يدري متى يحشر مع عتاة المجرمين في غياهب السجون ، بانتظار الاقتصاص ، لانه يريد ان يحرك نظاما توطدت اركانه على مدى اجيال واجيال ، فكيف لهذا الشاب اليافع ان يتجاسر ويصارع الاقدار والاحكام في هذا الوجود الذي يسمى المانيا . ان المانيا يجب ان تحكم من قبل ساداتها البارونات والفونات ، لا من قبل حثالات البشر ، ممن هب ودب . من هؤلاءالذين لا يملكون حسبا ونسبا ، من هؤلاء الذين ليسوا غير عشب ينمو من غير جذور ويعيش على نفسه !

ومن هنا ، ومن هذه الخلفية الحركية يمكن ان نعد بوخنر اول كاتب مسرحي عكس في كتاباته عصارة تجاربه المرة ، في صيفتها الاجتماعية . لا الفردية . كما فعل سترندبرغ بعده بقليل من الزمن .

مسرحية ليونس ولينا

ومن تحصيل الحاصل ان نقول ان المرارة التي طاردت بوخنر من يوم ما واجه الحياة بجرأة وجسارة ، تمكنت من الاستيلاء على نفسه الشفافة الرقيقة ، فاستعبدته بل جعلته خادما ذلولا ذليلا قبالة جبروتها .. فاصبح مجرد الاحساس بالوجود تعاسة وهل ادل على ذلك من قول لينا الاميرة التي توشك ان تدخل ملكوت الزواج : « يخيل الي ان هناك نوعا من الناس يحسون بالشقاء ، بالتعاسة التي لا شفاء منها ، لمجرد احساسهم بأنهم موجودون » (١) .

اما تفاهة الحياة التي تعقب المرارة فيحددها الامير ليونس تحديدا دقيقا بقوله ، « حياتي تتثاءب في وجهي كأنها ورقة كبيرة بيضاء ، كتب علي ان املأ صفحتها ، غير انني لا اقدر على كتابة حرف واحد ». وهكذا نجد الترابط وثيقا بين الاميرة والامير ، قبل ان يعقد رباط الزواج المقدس رأسيهما في مصير واحد ، فاذا بتعاسة الوجود المطلق، بصفته وجودا حسب ، وتفاهة الحياة توأمين يولدان معا ليحملا صليبين متعانقين في دروب الالام الطويلة .

اما السخرية من كل شيء ، من دورة الحياة نفسها فيمثلهافالريو ، المقرب للسدة الملكية وصديق ليونس ، بقوله : « لقد بلغ العشب من الجمال درجة يتمنى معها الانسان ان يكون ثورا لكي يستطيع ان يفترسه، ثم يتمنى ان يعود فيتحول انسانا لكي ياكل الثور الذي افترس مثل هذا العشب ! » وبهذا الاسلوب الساخر الغريب تمكن بوخنر ببراعة نادرة ان يلم بمجمل الحياة الماما كله مكر ساخر ، يعرض القيم الانسانية عرضا بدائيا متقصدا فيه رائحة العشب الذي هو زاد الحياة الاول وشراهة الحيوان والانسان معا ، وتحول كل هذه الظاهرات الحياتية وتداخلها وكأن كل شيء في هذا الوجود نهم متواصل وحيوانية متسلسلة ، فارغة القيمة ، عديمة الجدوى ، خاوية المضمون !

وفاليرو هذا انسان ، قدر له ان يعيش على فتات موائد الملوك من غير تعب ولا نصب ، كما قدر عليه ان يصطبر اصطبارا مهولا على الكسل طوال الحياة ، ذلك ان العمل لا يجسر ان يهين كفيه . وان الارض لم تذق قطرة عرق واحدة من جبينه فهو جدير بان يبقى النديم المفضل لدى الملك والامير على حد سواء ..

ومن ثم فهو قادر على تصريف اسرار الدولة والاطلاع على مسارها ومخابئها وتوجيهها الوجهة السليمة الامينة . ولذلك فهو امين هذه الاسرار اذا ما تعدى الامر القصر ، لكنه صريح كل الصراحة ، اذا كانت الحال لا تتجاوز جدران القصر ، فهو مثلا ، حين يعاتبه الامير مازحا بقوله : « ... ما انت الا تلاعب سيء بالالفاظ » يجيبه بكل برود : « وانت ايها الامير ، كتاب بلا حروف . »

ويخرج ليونس وصاحبه فالريو متنكرين بحثا عن فتاة يريد ان يحبها الامير لا بحثا عن اميرة تريد ان تقترن بأمير .. وتظل الطرقات تتقاذفهما وهما يتحاوران حينا ويتسامران حينا آخر .. ومع كل هذا العالم الواسع الطريف ، فان ليونس لا يشعر الا بالضيق آخذا بخناقه ، انه لا يجد بدا من القول وهو يتحسس يديه : « .. انني لا اجسر ان امد ذراعي ، وكانني حبيس غرفة صنعت جدرانها من المرايا » . وهذه الصورة التي عبرت عن ضيق نفس الامير ، ما لبثت ان استوت في ذهن فالريو بقوله : « .. هذه الصورة للحياة الانسانية .. انني اجر هذا الحمل بقدمين داميتين خلال الصقيع وتحت لهيب الشمس ... وعندما يأتي المساء اخيرا تكون جبهتي قد ملأتها التجاعيد ووجنتي قد غارت وعيني اظلمت ولا يتبقى لدي من الوقت الا ما يكفي لكي البس قميصي او كفني . » وهكذا ، فليست الحياة غير عبء ثقيل يستمر الانسان في تحمله ظنا منه براحة ولكن هيهات ، فليس من منزل للانسان غير القبر وليس من راحة الا هناك .. ذلك ان كل شيء في هذا العالم فظيع على ما تذهب اليه مربية لينا ، ما لم تعثر على اثر لابن ملك تائه .. وهي لا تدري ان ابن الملك التائه هو نفسه القائل : « .. انا اتعثر حولي كل يوم اربعة وعشرين مرة كأنني قفاز يوضع في اليد . » فما نفع من لم يجد نفسه كل ساعات اليوم من ان تعثر عليه المربية المسكينة لينقذها مما هي عليه من حال تجمع بين تشنج الالم وتثاؤب الكسل ووعثاء الطريق الطويلة . ولينا لا تدري انها جادة في طلب نهاية كلها عبث ! اما السأم الذي يرين على قلب ليونس ، فهو لا يكتفي بقلبه بل يمتد بمخالبه الى كل الوجود ، الى الكون ، الى العالم ولهذا يتحدث عنه ليونس بقوله : « .. كل شيء ساكن على الارض ، هنا لا تتحرك ورقة ولا عود . الارض تكومت على نفسها كطفل ، وعلى مهدها تخطو الاشباح » . هذا هو السكون الرهيب ، هذا هو السأم الذي ينضح من قلب الارض ومن قلب ليونس فيجتمعا في وحدة كلها قرف أكال ، واشمئزاز هامد مخيف . الا ان هذه الظاهرة لا تخيف فالريو الساخر فهو لا يجد في الشمس غير درع معلق على باب فندق وما الارض والماء الذي يسيل عليها غير مائدة « اندلقت الخمر فوقها وهم يرقدون عليها كاوراق اللعب .. »

ومن هنا فالمفارقة بين ليونس وفالريو لا تتأتى من وجود السأم ، فوجوده حقيقة واقعة ، انما يتأتى من اسلوب فهم كل منهما لهذا السأم . فالاول ينطلقُ من نقطة السكون لفهمه السأم بينما الثاني ينطلق من الحركة التي تفتعلها القوى الخفية كما هي الحال مع اللاعبين واوراق اللعب ..

اما لينا التي بهضها طول الطريق فتحار في امرها ، وتتساءل موجهة خطابها للمربية : « .. هل ما زال الطريق امامنا طويلا ؟ » وبدلا ان تجيبها المربية يجيبها ليونس حالما : « .. كل الطرق طويلة . دقات ساعة الموتى في صدورنا بطيئة .. وحياتنا حمى تزحف في اعضائنا ، الاقدام المتعبة تجد كل طريق طويلا .. »

وينساب التعب الجسدي متثاقلا في دماء لينا ، على حين ينساب الكلال النفسي حاملا وجوده بمشقة في جوانح ليونس ، فينشل وجوده الروحي وتهب ريح باردة من رياح الفناء الى نفسه لتلفه لفا ولتذهب به بعيدا عن هذا الوجود الابله حيث صرير الاسنان ، وأزيز الصواعق ، وزئير جهنم اخرى ، غير جهنم هذه .. والطريق بين الاثنتين لاحبة والمدى قصير ، ونحن اشباح في هذه المتاهة الكبرى والمفازة الداكنة العجفاء .

واذا علمنا مدى بغض بوخنر للرومانسية الشللرية والغوتية (٢) وابتعاده منها وصدوفه عنها ، فلا نستغرب اذن ان يكون ملاك الموت هو حبيب لينا المفضل وان يمثل ليونس ذلك الملاك بتقربه الى لينا في لفة تشعرنا بالآم فرتر شعورا واضحا قويا ، وها هو ليونس يقول بعد ان وجد طريقه الى قلب حبيبته : « .. وجودي كله تجمع في هذه اللحظة الوحيدة .. ما ابدع الخليقة التي تطالعني خارجة من ظلمة العماء (العمى) منتعشة الانفاس ، رائعة الحسن والبهاء ! الارض وعاء

من الذهب المعتم : كم يزيد النور فيها ويطفو على حوافيها ، ويلمع سنا النجوم المتلألئة فوقها » .. ويستمر على هذا النحو من الكلام حتى يطفح كيل بهجته بأن يحاول ان يلقي بنفسه في الماء ليعيش السعادة كلها في لحظتها كلها .. على طريقة فرتر . ولكن فالريو ينبه سيده بان يهزه هزا ويذكره ان من الخير له ان ينام على العشب قبل ان ينام تحته .. وهكذا ينتفض ليونس من غفوته الرومانسية ليجد نفسه انسانا آخر .

ويعود ليونس ولينا الى القصر ، ويكون الملك في الطريق الى القصر ، ها هي الصفوف المتراصة من الحشود المتماسكة التي تنتظر ويدور حديث بين رئيس مجلس المدينة وبين المعلم فيقول : « ايها المعلم العزيز ، كيف حال رجالك ؟ فيجيبه المدرب الذكي : « هم صابرون على الرغم من سوء الحال . متماسكون منذ عهد بعيد على هذه الحال . يصبون الخمر في جوفهم . ولولا ذلك لكان تماسكهم في هذا الحر الشديد من المحال » ... ولكي يدلل على ذلك الصبر ويثبته بالحجج الدوافع يلتفت الى القطيع ويقول : « تمسكوا بالصبر والفضيلة ! واظهروا التأثر المناسب والا استعملت معكم الوسائل المؤثرة » ، واذن فالوسائل المؤثرة هي التي تعلم الصبر والفضيلة وهي وحدها القادرة على جعل الناس يركعون عند الحاجة الى الركوع وينتصبون عند الاشارة بل اللمحة اليسيرة من الاشارة الكبيرة . فكما يدرب مدربو السرك حيواناتهم ، كذلك يمكن لمدربي البشر ان يفعلوا وهم آمنون على انفسهم من عوز الحاجة ، وذل السؤال ، ومشقة العيش .

مسرحية فويسك

هذا عن سخرية بوخنر ومرارته ، اما بساطته وطيبته ووحشيته فيمثلها فويسك بطل مسرحيته (فويسك) تمثيلا فيه جلال الكلمة الصادقة وسماحة النفس المرحة ، وقسوة الحياة اللعينة ، وفيه آماد انسانية جديدة لمسرح انساني جديد .

واذا علمنا ان بوخنر وضع لاول مرة على المسرح بطلا من عامة الشعب ، جنديا اعتياديا ، وخلق منه قوة درامية ذات شأن ، فانه لن يعود من المستغرب ان يتصرف هذا البطل تصرفه الطبيعي ، وكان المسرح هو مسرح الحياة وكان الدراما شريحة من شرائحها .

ومن هنا يمكن ان نعد هذه المسرحية منطلقا للمسرح الواقعي (الطبيعي) الذي شمل المسرح الغربي باسره في اواخر القرن التاسع عشر ، مع ما اكتنف ذلك من مذاهب ثانوية جاءت الوجود تتمة وتكملة للحركة الطبيعية التي عرت ابهة المذهب الكلاسي والروماني معا تعرية كاملة واستطاعت ان تحمل الحياة الى المسرح حملا طبيعيا .

فويسك جندي بسيط ساذج يتكلم مع رئيسه كما يتكلم مع اي من الفلاحين السذج ، انه لا يعرف التمايز ، من اي نوع كان ، انه يعرف انه انسان لا اكثر ولا اقل ويعرف ان رئيسه كذلك ، فلماذا هذا الستار الكثيف من دخان الاستعلاء والسيطرة والابهة والبهرجة ؟ ولماذا لا يصدق رئيسه فيما ينفعل به ويتأثر ، انه يحب الا يكون وحيدا ، يجابه مشقات الحياة بمفرده ، يريد ان يشاركه غيره في كل شيء ، فيما يحب وما يكره ، فيما ينفر منه ويتقرب اليه ، في كل شان من شؤون حياته البسيطة .

ان فويسك صادق مع نفسه منسجم معها ، فلماذا لا يكون صادقا مع من تربطه به روابط الخدمة المشتركة ، والانسان الصادق لا يمكن ان يخفي شيئا في دخيلة نفسه ، وخاصة اذا كان حلاقا كما كان شأن فويسك الذي لا يقدر ان يكبح جماح نفسه ، ولهذا فهو مثلا يصدق مع رئيسه في تناوله لمعنى الفضيلة ، فيعارضه ويحاوره من غير تخوف او تهيب بقوله : « .. ان عامة الناس من امثالنا لا يعرفون الفضيلة ».

ذلك « ان الطبيعة تتحكم فيهم . » وهنا لا يجد الرئيس بدا من القول وقد تمادى فويسك في التفكير ، « .. انت رجل طيب ، ولكنك تفكر اكثر من اللازم » . وتشتد هموم التفكير ايلاما في ذهن فويسك حتى تنقلب الى هالة من لهب ، نار تتصاعد في الافق وصخب ابواق تنحدر الى الارض ، شيء يقتلعه ليجذبه الى اعلى .. كأن الاشباح قد تآمرت عليه ، لتدك نفسه دكا وتقضي على مقاومته .

اما ماريا ، زوجته ، ام ولده الوحيد ، فقد انغمرت في الفاحشة مع احد الطواويس المتبخترة في المسيرة المزمجرة ، فما عادت تشعر بوجود زوجها الا كما تشعر فاجرة بضيف ثقيل لا مال له ولا مورد ، ولذلك فهي لا تتردد من اظهار ارتياحها حين يخبرها زوجها بعزمه على الرحيل ومفارقتها ، لان ذلك يعني فرصا جديدة لزيادة رصيدها من المال ومن الطمانينة والسلامة ..

ها ان البغي قد انحدرت واصبح سلوكها رديئا سيئا ، ها هي تتمرغ في اوحال الدنس وتقول : « انا في الحقيقة انسان سيء . اني اكاد اقتل نفسي . آه من هذا العالم . ليذهب الجميع الى الشيطان رجالا ونساءا . »

ويأخذ فويسك طريقه الى الطبيب من وعكة المت به ، وعكة الوساوس التي ازدادت استكلابا ، وحين يجابه الطبيب بشيء من الحدة يجيبه بقوله : « .. ان الغضب غير صحي ، غير علمي .. ومن يغضب نفسه من اجل انسان . من اجل انسان ! » ..

لكن فويسك يريد ان يعرف الحقيقة ويريد ان يجدها ، على الرغم من فرارها منه واختفائها خلف جدار كثيف من الاشاعات التي ملأت الاحياء والازقة وازكمت الانوف وشقت طبول الآذان . لكن الطبيب يستمر في عمله البارد الرتيب ، ويحملق في وجه مريضه قائلا « .. النبض ، يا فويسك ، النبط ! بسيط ، قوي منتفض ، غير منتظم .. وعضلات الوجه متحجرة ، متوترة . تنتفض . الحالة متهيجة ومتوترة . » وتزداد عاصفة الشك في نفس فويسك ارعابا وارهابا ، وتتناوله العقارب لسعا ، ويظل حائرا بائرا لا يدري ماذا يقول حتى تبلغ حالة التردد فيه الى حد القول : « .. كل شيء جائز ، الانسان . كل شيء جائز .. نعم ولا ؟ هل اللا مذنبة في حق نعم ، ام النعم في حق لا ؟ لا اريد ان افكر في هذا . » ويمشي فويسك على نار ويعود مسرعا الى غرفة ماريا زوجته ويبادرها بقوله : « لا ارى شيئا ، لا ارى شيئا . آه ! لا بد للانسان ان يراه . ان يتمكن من القبض عليه بكلتا يديه ! » وتتساءل ماريا مرعوبة : « ما لك يا فرانز ! » فلا يعيرها التفاتا ويستمر فيما بدر منه قائلا : « خطيئة ... رائحتها العفنة نفوح منها ، بحيث يستطيع الانسان ان يبخر الملائكة على رائحتها الى السماء» ثم يلتفت الى زوجته ليقول : « فمك احمر يا ماريا ، انت حلوة كالخطيئة ـ هل تستطيع الفاحشة ان تكون بهذا الجمال ؟ » وبهذه الكلمات النارية والموجة تلو الموجة من حماسة الكرامة المجروحة والشرف المهان ، اخذ فويسك يعبر عن ذاته المضطربة ونفسه المتشبثة باسباب الحياة ، فهو يشعر بسكين الالم المريع يتلامع في يده وبروحه تهتز وتتخلخل وتنوء بحمل باهض الثقل تؤود بحمله الجبال ..

ان شرفه لينثلم ساعة اثر ساعة ، وهو يتحقق من ذلك ساعة اثر ساعة كذلك ، لكنه يصطبر على المهانة ، ويتمضمض بالسفالة والنزالة بين فكين مكسورين . ويتجرع كل ذلك الهوان ، وهو يدري انه يتجرع كل ذلك الضيم من قبل امراة يخاطبها هكذا : « يا امراة ! لا بد ان فيك شيئا . كل انسان هاوية سحيقة . يصيبنا الدوار حين نتطلع اليها . انها تسير كما لو كانت هي البراءة نفسها . لكن ألك ايتها البراءة علامة تدل عليك .. هل اعرفها ؟ من الذي يعرفها ؟!! »

وهكذا ينغلق عليه صندوق الشك مرةاخرى ، فيخرج من غرفة ماريا لا يلوي على شيء ولا يدري شيئا . لقد استغفله الزمن حتى اصبح مغفلا . ولكن هذا العمى سرعان ما انزاح اذ وجد فويسك نفسه

---

(١) شواهد مسرحيتي «ليونس ولينا» و «فويسك» من ترجمة د. مكاوي

(٢) بالنسبة الى الشاعرين الالمانيين شللر وغوته .

دائرة الغربة والدوار

الى الشاعر محمد الطنجاوي

١ ــ عودة الطائر المشرد :

رجعت من رحلتك العقيمه
خرجت من قوقعة الثلوج
يا طائري ،
وعدت فارسا وشاهدا على الجريمه .
خليتنا نسقط ، نعرى في المتاجر
نعطش في الآبار
تلفحنا رائحة المروج
ندفن أحياء وموتى في المقابر
نترك ... جيلا بعد جيل
مأســاة ..
حكايــة ..
تذكــار ..
لآخرين يأخذون في الرحيل .
قلت لنا : سيرجع الاموات
من آخر الليل الذي في آخر الحياة
قلت لنا : ستقرع الطبول
حين تروا ماردكم يغرق في الوحول .
قلت لنا : سنشرب الانخاب
أنخاب عالم نحبه ونبغيه
مسرحنا الذي نعيش فيه
خرافة مرت على ذاكرة الاحقاب .
قلت لنا ، أذكر كم قلت لنا ،
قبل رحيلك البعيد .. عنا
لكنما خناك يا طريقنا الجديد .

٢ ــ عري الارض :

أطعمتني من خبز هذي الارض بالكراهه
أسقيتني من نبع نهرها
ماء ، وأعطيت لهذا القلب لغز سرها
لكنني طفوت قشة .. وكاذبا وتاجر
ممثلا مهرجا في مسرح التفاهه
حين طلبت منك ان أكون شاعر

٣ ــ الدائــرة :

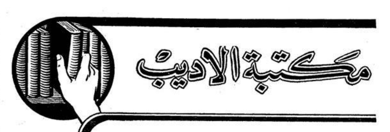
دخلت في دائرة الدوار
عفنت في دائرة الدوار
قلت لكم : لن تدخلوا دائرة الدوار
وأنتم هنا بعيدين عن دائرة الدوار
تطحنني دائرة الدوار
تغسلني دائرة الدوار
تفضحني دائــرة الدوار
تعريني دائرة الدوار
تجعلني أدور في دائرة الدوار
أموت في دائرة الدوار
أسأل في دائرة الدوار
أبحث عن دائرة الدوار
في دائرة الدوار
دخلت في دائرة الدوار
لا فرق ، أن خرجت من دائرة الدوار
باق أنا ، دائرة الدوار

تطوان ــ المغرب　　　　احمد تسوكي

ذات مرة بقرب شباك يطل على ملهى ، كل شيء في هذا الملهى يتلاعب بالعواطف والاحاسيس والمشاعر ، السيقان البللورية ، والجسوم الرشيقة ، والقدود المشوقة ، .. الاغراء والخمر والنساء كل يفعل فعله في الرجال البلهاء ، الذين يسمحون لانفسهم ان يجرجروا ويسحبوا سحبا الى هاوية الغواية الرعناء ، وكانهم في ليلة عرس ، وكلهم معرس في تلك الليلة ، وفي هذا الهرج والدخان وروائح الخمر العبقة ، رأى فويسك زوجته المصون وهي تراقص رئيس الطبالة وتتهادى معه في مشية كل خطوة منها خطوة نحو اثم اكيد وشر محقق وفسق داعر ، ها هو ذا يشهد بام عينه الجريمة الفاضحة ، فليس له اذن الا ان يعرف موضع قدمه في ساحة الشرف ، ان عليه ، وقد تحقق مما كان يشك فيه ، ان يعمل سريعا ليطهر حرمة بيته من رجس الفجور . فليذهب الى حانوت اليهودي ليشتري مسدسا او سكينا . ولكن اليهودي ، وقد تعرف على بغيته بعد ان تفرس في وجهه لم يتوان لخسته ان يقول : « السكين مستوية تماما . هل تحب حضرتك ان تقطع بها رقبة حضرتك .. من حقك ان تموت ميتة مرتاحة لكن ليس من حقك ان تموت مجانا ، ما رأيك ؟ انا سأخدمك لتموت ميتة اقتصادية » .

ومع ذلك يصمت فويسك ولا يستجيب للاطفات اليهودي الكريهة ، ويذهب الى البيت ويتظاهر انه يريد النزهة مع زوجته في الغابة المجاورة ، ويلح عليها ان تقبل طلبه فتوافقه وتسير معه وهي لا تدري من امره شيئا .ويحل المساء وهما في الغابة يتجاذبان اطراف الحديث ، فتشعره برغبتها في العودة الى البيت وتعلمه بالبرد الذي كظها ، فيقول « هل تشعرين بالبرد .. ومع ذلك انت دافئة . ما ادفأ شفتيك . دافئة . انفاسك دافئة كانفاس البغايا . حين يكون الانسان باردا ، فانه لا يتأثر بالبرد » . ويمضي في انجاز كلمته الاخيرة مضي السهم ، وتغور السكين في الجسد الدنس مرات ومرات ، ويحال الجسم الدافيء الى جثة باردة ، لا امل لها في دفء ابدا ، ويعود فويسك الى بيته يرتعش بهجة بانتقامه والما بيتم ابنه .

بغداد　　　　يوسف عبد المسيح ثروة



اليهود انتروبولوجيا

تاليف الدكتور جمال حمدان ـ ٩٦ صفحة ـ العدد ١٦٩ من « المكتبة الثقافية » ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة

بذل الدكتور جمال حمدان جهدا كبيرا في تاليف كتابه هذا عن اليهود من الناحية الانتروبولوجية . ذلك انه يمر بطرق وعرة شائكة قد تجعله ينحرف عن قصده . فكيف يستطيع كاتب عربي أن يعد دراسة علمية صارمة عن أصل وجنسية اليهود ، دون ان يترك للتعصب اثرا يفرض آراء حماسية تصرفه عن الاهتمام بالموضوعية في استقراء احداث التاريخ؟. ويا له من عناء بذله المؤلف كيما يبحث في تاريخ اليهود جنسيا ودينيا، وكيفية انتشارهم في العالم ، وتكوينهم الانتروبولوجي .

بحث شاق ودقيق ، وفريد في موضوعيته ، ذلك ان السيل الغامر من المؤلفات العربية التي صدرت في هذا الموضوع ، قد حطت ـ في الغالب ـ كل ثقلها في الجانب السياسي ، الذي ولا شك تفرضه الضرورة الحتمية للمعركة التي نجابهها مع اسرائيل . وبالتالي لم يكن من المناسب أن ينصرف الباحثون الى معالجة موضوعية ، فالمعركة المصيرية التي نجابهها بكل تحدياتها وابعادها الخطيرة تحتم وجود تعبئة قومية ونفسية شاملة ، وتكتيل الجهود ضد اطماع الصهيونيين في التوسعات الاقليمية .

فاذا ما شذ واحد من باحثينا على هذا الطريق ، وحاول ان يختلس بعضا من الوقت ليقدم لنا هذه المعالجة العلمية الموضوعية .. يتحتم علينا ان نكبر هذا المجهود ، ونثني عليه ، ونهتم به ، وندرسه دراسة رصينة . وهذا الاهتمام لا يعني اننا نتخاذل امام حقنا الثابت المشروع، وانما أطالب بالاهتمام بالكتاب والقاء الضوء عليه لانه حاول ان يبحث عن الحقيقة . واذا كنا ندرك ادراكا جازما ان الحق في جانبنا ، فان هذا الكتاب يعطينا جانبا مهما يجب الا نغفله ، وهو ان الحقيقة ايضا في جانبنا .

تحدث المؤلف في البداية عن اصل اليهود ، واعطانا فكرة موجزة عن المرحلة التكوينية (سفر التكوين) ثم تحدث عن (سفر الخروج والشتات) فضمنه حديثا مسهبا عن الشتات البابلي والهلليني والروماني الوسيط والحديث . وبعد ان استعرض ديناميكية اليهود عبر التاريخ، ابرز لنا الصورة الحالية لليهود ، فصنفهم في ثلاث طوائف هي الاشكناز والسفاردي والشرقيين .. والطائفة الاخيرة هي اقرب اليهود الى الاصول الفلسطينية ، لكنهم اقل عددا وادنى مرتبة حيث ان يهود الاشكناز والسفاردي يزدرونهم ويحتقرونهم ، فيهود فلسطين ـ قبل الاغتصاب ـ من الشرقيين ، لكن الهجرة أتت بيهود من الطوائف الثلاث.

وبالنسبة لتوزيع اليهود في العالم ، فطبقا لاحدث احصاء يقدر عدد يهود العالم في عام ١٩٦٦ بنحو ١٣ مليونا و ٤٠٠ الف يهودي ، تعيش غالبيتهم في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي واسرائيل . ويوجد في هذه الدول الثلاث فقط حوالي ٨ ملايين و ٩٠٠ الف يهودي، اما الملايين القليلة الباقية فتعيش اشتاتا مبعثرة في مختلف دول العالم. على ان خطر اليهود لا يكمن في هذا وانما في طريقة توزيعهم وبنيانهم الاجتماعي ، فهم يتمركزون في المدن الكبيرة الهامة ، ويولعون بالتجارة ، وينفرون من الاعمال الزراعية والصناعية.. أي ان نشاطهم البشري يتركز اساسا في الاعمال الغيرمنتجة، وقد أبان المؤلف ان هذا سبب اصيل وعميق في كراهية الامم لهم ، وربما يكون المصدر الاول لاضطهادهم ومقتهم .

ثم انتقل بنا الى الجزء الاهم من البحث وهو الاصل الجنسي لليهود وصفاتهم الجسمية، وفي مستهل هذه الدراسة الانتروبولوجية قدم لنا التفاتة ذكية هي بمثابة تحذير من التمادي في بحثنا العلمي دون وعي بالمصادر التي نستقي منها .. اذ ينبغي ان نلتفت بوعي الى ان هناك علاقة حتمية بين الدراسة الانتروبولوجية الصرفة وبين الجانب السياسي كما يتمثل في الاطماع السياسية ، كما ينبغي ان ندرك ان الصهيونية السياسية تسخر الابحاث الانتروبولوجية وترتب نتائجها مسبقا بحيث تخدم دعاواهم الاستعمارية في فلسطين ، وصميم القضية انهم ، اذ يبحثون عن مبرر من الجنس للعودة الى « ارض الميعاد » يشرع اغتصابهم لفلسطيننا العربية ، يركزون بؤرتهم على « النقاوة الجنسية » لليهود ، بمعنى انهم بعد ان يخرجوا بني اسرائيل من فلسطين الى الشتات يلحون في انهم ظلوا نقاة بمنأى عن الاختلاط الدموي مع الشعوب التي انتشروا بينها" . ثم طرح قضية النقاوة الجنسية على بساط البحث فابان اتجاهين : الاول يرى اليهود يتميزون في الصفات الجنسية عن غيرهم « نظرية النقاوة » ، والاخر يرى عكس ذلك « نظرية الاختلاط » . وقد ايد الكاتب الاتجاه الثاني حيث انه لا يوجد مجتمع يهودي أفلت من الاختلاط البيولوجي .

ثم تحدث عن صفاتهم الجنسية التي حصرها المفهوم الشائع في قصر القامة وضيق الصدر والسحنة والبشرة وملامح الوجه وطول الرأس . فقصر القامة صفة جنسية تتكيف بالبيئة والمناخ الاجتماعي . كما ارجع الكاتب هذه الصفة الى تفشي عادة الزواج المبكر جدا بين اليهود ، الذي ادى بدوره الى انحطاط جسمي كان من ابرز آثاره قصر القامة . كما ان ضيق الصدر ليس صفة جنسية ، وهي كسابقتها تتأثر بالبيئة والمناخ الاجتماعي .

اما ملامح الوجه ، فقد اشيع ان اليهودي يتصف بسمرة الشعر والعين ، والانف الاقنى المحدب ، والعيون المنتفخة ، والشفاه الممتلئة، كما اشيع ان هناك سحنة يهودية . وقد دحض الكاتب هذا القول الشائع عن ملامح الوجه بالاسانيد العلمية الدامغة ، فليست هناك وحدة لونية تميز يهود العالم عن سواهم . فلون اليهود مرتبط باللون السائد للسكان المحيطين ، أي ان اليهود غير متجانسين لونا . كما ان لون البشرة نفسها يختلف حسب الظروف البيئية . واذا كان هنالك ثمة اختلاف في لون البشرة بين اليهود والسكان المحيطين ، فذلك يرجع الى طبيعة الاعمال التي يزاولونها . اما الانف الاقنى المحدب ، فان الدراسة الانتروبولوجية قد اثبتت عدم انتشاره بين اليهود . وبالمثل يمكن القول بانه ليست هناك عيون خاصة لليهود او شفاه ممتلئة مع بروز الشفة السفلى .

وعن السحنة اليهودية ، لفت الكاتب انظارنا الى انها « ليست صفة جسمانية بقدر ما هي تعبير اجتماعي مكتسب من البيئة الاجتماعية، من صنع الجيتو وحياة التشرد والاضطهاد والصراع ضد الاخطار المستمرة حتى لقد اسماها البعض « تعبير الجيتو » . انها باختصار من فعل الانتخاب الاصطناعي لا الوراثة والبيولوجيا ، تثبتت عن طريق التزاوج الداخلي والانتخاب الجنسي والانتخاب الاجتماعي والمهني » .

اما الزعم القائل بأن اليهود طوال الرؤوس ، فانه زعم خاطىء . ذلك انهم ، في الحقيقة ، يتوزعون ما بين عراض رؤوس وطوال رؤوس،

والاغلبية الساحقة من يهود العالم تحولت الــى عرض الرأس نتيجة للتزاوج والاختلاط الجنسي مع غير اليهود .

لقد أبانت هذه الدراسة العلمية الصارمة حيدة المؤلف وامانته ودقته . وكان المؤلف حريصا على عدم اثبات رأي تمليه العاطفةفحسب، تاركا المجال للاسانيد العلمية والارقام والبحوث الانتروبولوجية كي تقوم بتفنيد مزاعم اليهود ودعاواهم الباطلة .

وبعد ذلك ، طرح المؤلف عدة تساؤلات هامة ، وحاول ان يجيب عليها عن طريق الاستنتاجات المنطقية التي وصل اليها .

تساءل اولا : هل اليهود نقاوة ام اختلاط ؟. أهم يهود تأوربوا أم أوربيون تهودوا ؟.

وقد اكدت الاستنتاجات المنطقية حقيقة لا مجال للشك فيها ، وهي ان السحنة اليهودية ليست سوى ظاهرة حضارية من صنع اليهودنتيجة لاحساسهم الطائفي واهتمامهم بالكيان الديني ، وليست صفة جنسية تنبيء عن وحدة أصل او نقاوة سلالة . فليست النقاوة الا خرافة مــن صنع اليهود ، كما انتهى المغزى الانتولوجي لكلمة يهود منــذ زمن ، واليهود ليسوا جنسا وانما هم ناس او مجموعة اجتماعية دينية .

ثم تساءل : كيف تم الاختلاط او تخليط اليهود ؟. وما هي الادلة والشواهد التاريخية عليه ؟.

لقد تم هذا الاختلاط بالتزاوج والتحول الديني، وللتزاوج شكلان: الزواج العلني والزواج السري . امــا التحول الديني فلــه شكلان رئيسيان : التحولات بالجملة وهي معروفة تاريخيا، والتحولات الفردية، وهي تحدث في كل زمان ومكان .

ومن الوجهة التاريخية ، قدم المؤلف ادلة تدحض خرافة النقاوة، فيهود العالم مختلطون اختلاطا يبعد بهم عن اصولهم القديمة ، وهــم ليسوا من بني اسرائيل ، كما انهم يختلفون عنهم انتروبولوجيا وليس هنالك من رباط سوى الدين .

وفي ضوء هذه الاسس ، استطاع المؤلف - في نهاية بحثه - ان يكشف الافكار الخاطئة ويدحض مزاعمها ، وهي :

اولا : تسمية اضطهاد اليهود « بضد السامية » والحقيقة انها ازاء « ضد اليهودية » .

ثانيا : دعوى وجود قرابة دم بين العرب واليهود ، وقــد يكون يهود التوراة والعرب ابناء عمومة ، لكن يهود اليوم ليسوا الا اقارب الاوروبيين والامريكيين !.

ثالثا : الادعاء السياسي للصهيونية في « أرض الميعاد » وهو ادعاء باطل ، فليست لليهود قومية وانما هم طائفة دينية ، وليست لهم اية علاقة جنسية او انتروبولوجية بفلسطين .

وبهذا الكتاب القيم ، يكون الدكتور جمال حمدان قد اسهم فــي تغذية معركتنا المصيرية ، حيث انه اعطانا ابعادا أخرى يجب ان نضيفها الى اسلحتنا التي نجابه بها العدو الدخيل . وهو كتاب جدير بكــل عربي ان يقرأه . حتى يعرف العرب جميعا حقيقة العدو الذييحاربونه، في نواحي دقيقة ليست معروفة تماما لدى غالبيتهم .

القاهرة حسني سيد لبيب

•

الطير في حياتنا وتراثنا

تأليف المحامي عبد القادر عياش - ٩٨ صفحة - حجم كبير - طبع في دير الزور بسورية

كتاب صغير في حجمه وصفحاته كبير في طرافته ومحتوياته جمع ابدع ما يتعلق بالطير من نواحي اللغة والادب والوصف والفائدة والمتعة مما لم يضمه كتاب اخر والمؤلف هو الاستاذ عبد القادر عياش من دير الزور محام واديب وعضو في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بدمشق وصاحب مجلة صوت الفرات عرفته في بلدتي جبلة منذ نفي اهله اليها في عهد الانتداب الفرنسي ثم التقيت معه في معهد الحقوق بدمشق وفي دير الزور ايضا حين كنت رئيس نيابة في الرقة وقد دعاني الى بيته واطلعني على الجناح الخاص المتضمن كثيرا مــن الاثار الشعبية والادوات التي اختصت بها محافظة الفرات وهو مولع بجمعها .

لقد بوب المؤلف كتابه احسن تبويب ورتب موضوعاته الطف ترتيب واول ابوابه : مدخل الى الطير : ذكر فيه العلاقات بينها وبين الناس من حيث الاقتصاد والغذاء والتربية والشدو والطيران والالهام والزينة والصيد مع لطائف عديدة اوردها واشعار جميلة نقلها من بعضالدواوين ومجلة الاديب الفراء . ثم اتى على تعريف الطير فذكر خصائصها مــن ريش وذنب ومنقار وجناحين وشرح كلا منها وقسم الطيران الى ثلاثة اقسام الاول : الانزلاق : وفسره ببسط الطائر جناحيه دون تحريك والثاني : الدفيف: وهو ضربه بالجناحين رفعا وخفضا والثالث: طيران الصف : وهو بسط جناحيه دون تحريك كما تقوم بــه عتاق الطير كالعقاب وجعل منها الحداة وهي ليست كذلك وان كان لهـا طيـران الصف لانها تقع على الجيف فتأكل منها وتصطاد الجرذان ويقال انهـا كانت من أصيد الجوارح فدعا عليها النبي سليمان فحرمت القدرة على الصيد وهذه الاسطورة مذكورة في لسان العرب وتاج العروس والحداة بكسر الحاء وقد تفتح وبفتح الدال وجمعها حدأ وحداء وحدآن وفـي الحديث الشريف خمس يقتلن في الحل والحرم وعد الحدأ منها وروي عن ابن عباس لا باس بقتل الحدو والافعو أي الحداة والافعوان ويسميها العوام (الشوحة) .

وان اتيان المؤلف بالانزلاق في القسم الاول خطأ لان الزلق لغة الزلل والسقوط يقال زلقت قدمه اي زلت ولا يأتي بالمعنى الذي أشار اليه المؤلف ولعله اراد : الترنيق : جاء فــي لسان العرب وترنيق الطائر على وجهين احدهما صفه جناحيه في الهواء لا يحركهما والاخر ان يخفق بجناحيه . فكان على المؤلف ان يجعل القسم الاول ترنيق الطائر ويفسره بخفق جناحيه دون ان يبرح مكانه او يسقط .

وبحث في أصل الطير وعده متطورا عن الزواحف وتحدث عـن الطير في اللغة العربية واعتناء العرب بها وتمييزهم بينالوانها واصواتها وتطيرهم ببعضها ووضعهم اسماءها وضربهم الامثال بها وتاليفهمالاساطير عنها ووصفها باشعارهم ونقلهم الامثال والحكم عن السنتها ونوه بذكرها في الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وذكر ما جاء في الطير والطيران من مفردات لغوية وقال طار الطائر يطير طيـرا وطيرانا واهمل مــن المصادر : طيرورة : ثم قال والطير اسم لجماعة ما يطير مؤنث والواحد طائر ولم يذكر ان الطير قد يطلق على المفرد ايضا جاء فـي القاموس المحيط ما نصه : الطير جمع طائر وقد تقع علـى الواحد . وفاته ان يذكر ان من معاني الطائر الدماغ والحظ وعمل الانسان ورزقه وفـي سورة يس « قالوا طائركم معكم » أي شؤمكم او سبب شؤمكم وقيـل حظكم ونصيبكم من الخير والشر وقرىء : طيركم معكم : قال الزجاج الطائر والطير بمعنى

ثم بين أشكال الطيران واصوات الطير واماكنها وجماعاتها وسماها بأسمائها كما هو مذكور في فقه اللغة للثعالبي والمعاجم المعتمد عليها ولم ينتبه الى خطأ طباعي في قوله : والزمار للديك : والصواب والزقاء للديك اما الزمار بكسر الزاي وتخفيف الميم فهو صوت النعامة وقــد ذكر ذلك في محله .

وكان جديرا بالمؤلف عند قوله : رف من القطا : ان يصف هذا الطائر ويذكر مؤنثه وجمعه وبعض ما قيل فيه من اشعار وامثال فالقطا بحجم الحمام وهو مذكر والمؤنثقطاة والجمع قطوات وقطيات قال الشاعر:

ولــو الزعجــات مــن الليالــي لمــا تــرك القطاطيــب المنــام

والبيت مأخوذ من المثل : لو ترك القطا لنــام : وقال المنخل اليشكري :

فدفعتهــــا فتدافعــــت مشـــي القطـــاة الـى الغديـر

وفي المثل : أهدى من القطا : وسمي قطا لثقل مشيه أو لانــه يصيح : قطا قطا : قال النابغة الذبياني :

تدعـو قطـا وبـه تدعى اذا نسبت يا صدقهـا حين تدعوها فتنتسب

وفصل المؤلف عن تكاثر الطير وبيوضها واحجامها والوانهاومعانيها في اللغة فقال والبيضة الخوذة الحديدية التي يقي المحارب بها رأسه وبيضة الدار وسطها وبيضة البلد اكبر قومه وبيضة الخدر المرأة وليته تمثل بقول الشاعر معروف الرصافي :

وبيضة خدر ان دعـت نازح الهوى أجـاب الا لبيـك يا بيضة الخدر

وقال وبيضة العقر اخر اولاد المرأة وبيضة الحر شدتـه وبيضة النهار بياضه وبيضة السنام شحمه وذكر قوله تعالى في سورةالصافات « كانهن بيض مكنون » أي كانهن اللؤلؤ المصون ولم يذكر بيضة الديك ويقال انه يبيض في العمر مرة قال بشار بن برد :

قد زرتنا مرة في العمر واحـــدة تني ولا تجعليها بيضـة الديـك

وتحدث المؤلف عن اغاريد الطير وتخاطبها بها واوقاتها كما تحدث عن طبائعها وذكائها وفوائدها فحمام الزاجل ينقل الرسائل والاوزيستخدم للحراسة والصقر يصطاد به الغزال ومــن فوائد بعضها انها تأكـل الحشرات الضارة للمزروعات وبعضها يقتل الثعابين والهوام وذكر من فوائدها الاتجار بها والتداوي ببعضها والتغذي بلحمها وبيضها والانتفاع من ريشها وعظمها واستعمال زرقها سمادا وذكر من فوائدها الهامهـــا للشعراء والرسامين والنحاتين .

وتحدث عن عدة الطائر وهي الريش والجناح والمخالب والاظافـر والمنسر والمنقار وبين ان المخلب والمنسر للطيور الجارحة والظفر والمنقار لغير الجارحة وذكر ان في الجناح عشرين ريشة وهي القوادم والمناكب والخوافي والاباهر والكلى كما ذكر استعارة الجناح لمعان عديدة منهـا قولهم : ركب فلان جناحي نعامة للاقبال والادبار وركب القوم جناحي الطائر اذا فارقوا اوطانهم وجناحا الجيش ميمنتـــه وميسرته وجناح المستشفى قسم منه ونسي ان يذكر استعارة الجناح في قوله تعالـى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » وذلك في امر المرء بالاحسان لوالديه وخضوعه وتواضعه لهما وتحدث مفصلا عن الريش واستعماله للزينة وحشو الوسائد والفرش وصنع مراوح منه واستعماله للكتابـة وليته ذكر ان الفارس الشجاع حمزة بن عبد المطلب عم النبي العربي كان يضع ريشة حمراء على صدره علامة له ولذلك قيل له الفارسالمعلم وليته ذكر ان مضرب العود كان من خشب فصنعه الملحن العبقريزرياب حين قدم الاندلس من قوادم النسر وهو الذيزاد في العود وترا خامسا.

وتحدث المؤلف عن غذاء الطير من لحوم وحُبوّب ونباتات وثمـار وديدان وقال ان عتاق الطير كالعقاب لا تاكل الا مما تصيدها بنفسها واما غير العتاق كالنسر والرخمة فتاكل من الجثث وحكى عـن مغازلة الطيور وتحاببها وتآلفها وبناء اعشاشها وتكلم عن منطق الطير وانالنبي سليمان كان يفهم منطقها واورد شاهدا على ذلك الآية الكريمة : «وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير » وروى خرافات عما تنطق به الطير من كلمات وتكلم عن طير الهواية في اقفاصهاوترفيهها للنفس واطرابها للسمع باغاريدها وترانيمها وتحدث عن تعليمها للانسان بعض الامور كالغراب الذي علم ابن آدم قابيل دفن آخيه هابيل واورد الآية الكريمة بذلك .

وذكر ان الطير ألهمت البشر أن يطيروا مثلها وفكروا بذلك طويلا واول من قام بتجربة الطيران عباس بن فرناس من قرطبة في الاندلس وهو من رجال القرن التاسع للميلاد كسا نفسه بالريش وضم اليــه جناحي ريش فطار قليلا وسقط لانه لم يجعل له ذنبا ثم قال ما نصه : « وفي القرن الرابع ظهر رجل ثان في الاندلس قام بتجربة اكثر جراة

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

فـي الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنـى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابهـا سواء نشرت ام لـم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلـة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيـر اديب

هو اسماعيل بن حماد الجوهري ابو نصر الفارابي من اثاره كتاب الصحاح في اللغة صنع اجنحة خشبية » وفي هذا القول تناقض بين وخطأ كبير والصحيح ان الجوهري اللغوي هو غير ابي نصر الفارابي الفيلسوف وان كان كلاهما في الاصل من فاراب والاول هو الذي قام بتجربة الطيران في نيسابور بعد ان شد الى جانبيه جناحين من خشب ووقف على سطح المسجد ودعا الناس لمشاهدته قائلا لقد صنعت ما لم اسبق اليه وطار قليلا ثم هوى على الارض قتيلا وذلك عام (١٠٠٧) م أما الفيلسوف ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان ولقب بالمعلم الثاني وينسب اليه اختراع الآلة الموسيقية (القانون) وله مؤلفات كثيرة وقد توفي بدمشق عام (٩٥٠م) وهو تركي مستعرب هذه هي حقيقة الرجلين ولم يمكث احدهما في الاندلس وينتسب الى فاراب رجل اخر هو الاديب اسحق بن ابراهيم الفارابي توفي عام (٩٦١م) وهو خال الجوهري .

وحكى المؤلف عن هجرة الطير بسبب البرد والحر او قلة الغذاء او ازدياد النسل وتسمى القواطع والتي لا تهاجر تسمى الاوابد . وتحدث عن دراسة علم الطير وعن الطيور الخرافية كالعنقاء والفينق والسمندل والرخ المشهورة بعظم اجسامها وذكر اسطورة الهديل وهو ذكر الحمام الذي اصطاده طائر جارح زمن النبي نوح فلا يزال الحمام يبكي عليه وحبذا لو اورد قول المعري في مرثاته المشهورة :

أبنات الهديل اسعدن أو عد ن قليل العزاء بالاسعاد
ايه لله دركن فانتن اللواتي تحسن حفظ الوداد
ما نسيتن هالكا في الاوان الـ خال اودى من قبل هلك اياد

كما اشار الى انشودة البجعة عند موتها ولم يشر الى ما قاله الشاعر الفرنسي لامرتين في قصيدته : الشاعر المحتضر : عن تلك الانشودة وقد ترجمها الاستاذ الزيات نثرا وحولتها شعرا :

لأرنم لحنا على الاوتار ما استمرت يدي على القيثار
لأرنم ما دام يلهمني الحتـ ـف جميل الالحان والاشعار
مثل ترجيع بجعة تسلم الرو ح على ضفة من الانهار

وروى قصصا وحكايات شعبية عن الطير وشيئا من القصص العربي وقصة الهدهد مع النبي سليمان وكيف دله على مملكة سبأ وملكتها بلقيس وسرد الآيات الكريمة التي نزلت بذلك .

وتحدث عن هواية تربية الطير والاتجار بها وما صنف عنها وما يتسلى بها ويلعب عليها وروى ما ورد من ذكرها في القرآن الكريم والاحاديث النبوية كما روى طائفة لطيفة من الامثال وبعض ما قيل في الطير من الشعر القديم والحديث وليته أثبت في هذا الباب قول بشار بن برد :

تسقط الطير حيث ينتثر الحب وتغشى منازل الكرماء

وقول الفيلسوف ابن سينا في النفس :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

والورقاء الحمامة البيضاء ويقصد بها الفيلسوف الروح وقد عارضه بها الشاعران شوقي وايليا ابو ماضي . وتكلم عن الطير التي اتخذتها الشعوب رمزا وشعارا لها كالرخمة رمز الحنان والعقاب راية النبي العربي وكانت تنقش على بنود الفرس والرومان لانها رمز القوة والمنعة ولم يذكر انها نقشت على راية صقر قريش عبد الرحمن الداخل وذكر ان هيئة الامم المتحدة جعلت شعارها الحمامة لانها رمز السلام ووضعت رسم حمامة على ابنيتها وعلمها وأوراقها . وذكر ان اشخاصا تسموا بأسماء الطير وتكلم عن تدريب طائر الصيد وجاءت فيه كلمة : عامود : وهو خطأ لغوي صوابه عمود بحذف الالف وعمد بفتحتين او ضمتين وروى كثيرا من الامثال الشعبية في وادي الفرات وبعض الاحاجي .

وختم كتابه الطريف الشائق بعناوين اغان شعبية تبثها الاذاعات العربية . واني ادعو كل قارىء لمطالعة هذا الكتيب القيم فهو حقا ممتع.

جبلة ـ سورية **رشاد علي أديب**

صلاح الدين الايوبي

تاليف قدري قلعجي ـ ٦٦٣ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطابع شركة الطباعة الحديثة ببيروت

بين يدي سفر ضخم ناهزت صفحاته الـ ٦٦٣ من القطع الكبير في حلة فنية واخراج دقيق انيق ، عنوانه صلاح الدين الايوبي : « قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد » من تاليف الكاتب الاديب المؤرخ الاستاذ قدري قلعجي ، يشتمل على سيرة البطل الاسلامي الكبير صلاح الدين يوسف بن شادي الايوبي من خلال الصدام المميت الذي وقع بين الشرق الاسلامي والغرب النصراني المعروف تاريخيا « بالحروب الصليبية » . وقد حرص المؤلف ان يقدم للقارىء العربي موضوعه الحساس ، باسلوب لبق وعبارة مهذبة وافكار حديثة بما يتناسب والانطباعات القومية المعاصرة التي يعيشها الناس في ايامنا مع محاولة مقصودة ، لتفسير الحروب المصيرية التي دارت بين آسيا الاسلامية واوروبا النصرانية على ضوء المفاهيم السياسية والفكرية التي يتداولها الناس في الظروف الحالية التي تحكم العلاقات الراهنة بين الشعوب العربية والاستعمار الغربي في اشكاله المستحدثة منذ الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) في بداية العقد الثاني من منتصف القرن العشرين بعد الميلاد المسيح عليه السلام .

ونحن نستطيع ان نقول بأن قارىء هذا الكتاب القيم لا يضطر الى انفاق الشيء الكثير من الوقت والجهد حتى يدرك ان المؤلف الاستاذ قدري قلعجي ، قد التزم منذ اول صفحاته حتى اخرها ، البقاء داخل الاطار التاريخي المالوف الذي تعودناه من كتاب السير والتراجم الشخصية ، اذ هو اخذ نفسه في السرد المتناسق الرتيب للاحداث السياسية والعسكرية التي تشكل في مجموعها قصة حياة بطل الكتاب، صلاح الدين الايوبي ، من حين ولادته حتى اخر مراحل وجوده في هذه الدنيا ، مع ما تستلزمه طبيعة الموضوع من ضرورة الاستطراد بين الحين والاخر الى الحديث عن الملابسات العائلية النابعة من نفس البيئة التي عاشها صلاح الدين بالذات ، او كانت منسحبة عليه من منابع اجنبية غريبة عنه لسبب او لاخر .

بيد انه لا بد من القول بأن الاستاذ قدري قلعجي . بما أوتي من براعة في الاسلوب البياني وسعة في الاحاطة الثقافية وتمكن من المادة التاريخية ، استطاع ان يقدم لقارئه ، شخصية بطل كتابه ، في مادة دسمة من المعلومات الطريفة واللفتات القلمية البارعة ، بحيث ان هذا القارىء يجد نفسه بين يدي بحث علمي مشوق ، يثير فيه الرغبة واللهفة لمتابعة القراءة تحت سلطان آخاذ من العرض المتناسق والمعاني الجميلة والتسلسل الفكري المحكم .

ولا غرو فان الاستاذ قلعجي يعتبر في الواقع من فرسان القلم الانيق وله في ميدان البيان جولات وصولات ، جديرة بان ترتفع به الى مصاف امراء هذا البيان بين امثاله واقرانه من كتاب العصر المجيدين .

ولقد كان من حظ البحوث التاريخية الرصينة ان يجنح اليها مثل الاستاذ قلعجي ، في وضوح الكلمة وبلاغة الجملة وجاذبية المعنى . ذلك بان التاريخ المكتوب اذا جرد من هذه الميزات الاساسية يصبح مجرد رواية عادية لحوادث واحداث تتكرر ابدا في كل زمان ومكان على اختلاف العصور والامصار . وعلى هذا فانه ليس علينا من تتريب ولا حرج في ان نضع استاذنا الكريم بين نخبة المؤرخين العرب الذين ارتفعوا بمستوى مادتهم الى ما يجعلها سائغة وممتعة ومفيدة في آن واحد .

على ان تقديرنا للجهد البالغ الذي بذله الاستاذ قدري القلعجي في معالجة المقدمات التي سبقت ظهور صلاح الدين على مسرح الاحداث الضخمة التي عرفها الشرق العربي تحت وطأة الوجود الصليبي والنتائج الباهرة التي فرضها ظهور هذا البطل في ذلك الزمن . ان هذا التقدير

لا يصرفنا عن الملاحظة بأنا كنا نتمنى لو ان المؤلف وجه اهتمامه الى الناحية الفكرية المهمة التي تجعل من صلاح الدين احد ابطال الاصلاح الاسلامي بالاضافة الى كونه احد ابطال الفتح العسكري . فان هذا الشخص الفذ لم يكن من اولئك الرجال العاديين الذين قصروا حياتهم على ما خاضوه من معارك عسكرية فاخطأهم حظ الانتصار حينا وادركهم حينا اخر ثم انصرفوا من دنياهم وسط عجاج كثيف من غبار الحروب او في زفة صارخة من صليل السيوف وقعقعة السلاح ، بل كان صلاح الدين بين الابطال ، من طراز اخر لا تقل معاركه العقائدية والفكرية اهمية واثرا عن معاركه العسكرية او نشاطاته السياسية .

وانه على الرغم من عشرات الاقلام التي تحدثت عن صلاح الدين في الماضي والحاضر ، والتي قدمته لنا في لأمة الحرب ، مدججا بالسلاح متمكنا من صهوة جواد ثائر، على الرغم من ذلك، فان شخصيته الممتازة، كانت تحتوي على جانب اخر من جوانب العبقرية والعظمة، وهو الجانب الذي كان يقوم على فضائل منهجية استطاعت ان تفرض نفسها وان تحدث تغييرا جذريا في طبيعة الحياة الدينية والاجتماعية لمسلمي الشرق العربي في زمانه بل وفي الازمنة التي توالت متعاقبة من بعده . فمن المعروف ان صلاح الدين الايوبي لم تكن جبهته النضالية الوحيدة ، تلك التي فتحها ضد الاحتلال الصليبي لبلاد الشام ، بل كانت له جبهة اخرى خاض فيها غمار معركة داخلية ذات اهمية كبرى ، تلك هي جبهة النظام الفاطمي التي كانت تهدف الى انتزاع القيادة الاسلامية من اهل السنة والجماعة الذين تمثلهم الخلافة العباسية في بغداد ، وتسليمها الى العناصر الباطنية التي تمثلها الفئة الحاكمة في القاهرة باسم آل البيت النبوي الكريم ومن يلوذ بها من شيع واحلاف .

واذا كان الاحتلال الصليبي قد استطاع ان يمد جذوره الاستعمارية عشرات السنين بما اوتي من وسائل القوة والبطش والعدة والعدد ، فان النظام الفاطمي المعاصر له ، كان يبسط رواقه المذهبي على الرقعة الحساسة من بلاد الاسلام بما أوتي من امكانات بشرية هائلة ، ومغريات عاطفية طاغية ، اتخذت من الدين وبعض الاحداث التاريخية ، ادوات دعائية حاسمة السيطرة على نفسية الجماهير .

ولسنا الان في مجال الكلام بهذا الصدد ، فأسفار التاريخ الاسلامي مزدحمة بالشواهد على ما نقول .

وان ليبدو لي ان المعركة الحربية التي خاض اوارها صلاح الدين الايوبي بوجه القوات الصليبية المحتلة لم تكن في الحقيقة قاصرة على رغبته في اجلاء هذه القوات عن ارض الوطن الاسلامي فقط ، بل انها كانت بالاضافة الى هذه الرغبة الخيرة ، نوعا من التكتيك النفساني ، او ما يسمونه بلغة العصر الحاضر ، الاستراتيجية النفسية ، التي اتبعها هذا البطل من اجل اكتساب صفة الزعيم المنقذ ليضمن ولاء الشعوب الاسلامية في موقفه من النظام الفاطمي ومن ثم القضاء على هذا النظام . ولعلنا لسنا نجور بالقول ولا نجنح الى المبالغة اذا أكدنا بان هذا النظام الطارىء كان في الواقع الهدف الاول والاخير لصلاح الدين الى جانب شواغله المضنية في محاربة الصليبيين .

ونحن حينما نعطي لصلاح الدين ، الى جانب دوره العسكري البارز في هزيمة الصليبيين ، دورا آخر لا يقل خطورة ، وهو صراعه مع النظام الفاطمي ، فاننا لا نطلق هذا الرأي على عواهنه دون ضابط من الواقع او شاهد في التاريخ ، ولا نقول به رغبة منا في ابتداع وجهة نظر شخصية طريفة في محاولة فهم الحركة الانقلابية التي قام بها صلاح الدين بازالة الامامة الفاطمية في عقر دارها لتحل محلها الخلافة العباسية ، وانما نحن ننطلق فيما نثبته في هذا الصدد على مستوى الاحداث القديمة التي تعاقبت بعضها في اثر بعض من حين دخول صلاح الدين الى الديار المصرية تحت شعار الدفاع عن ترابها وكبح المد الصليبي عن التفشي في ارجائها ، فلما ان استوفى هذا الفرض العاجل غايته زال هذا الشعار ومبرراته وزالت معه عوامل التحفظ والتربص وكانت حركة الانقلاب ضد الخليفة العاضد بمثابة طلقة الرحمة التي اجهزت على دولة الفاطميين .

أجل ان صلاح الدين الايوبي ، فتح عينيه لاول مرة في بيئة اسلامية محافظة ، ثم فتح عقله في غمرة من التململ الشعبي ضد الاحتلال الاجنبي ، ولما ان اصبح في مستوى المسؤولية الرسمية وجد نفسه رهين جو سياسي متلبد بغيوم التناقض الديني . وهكذا لم يعد امامه الا ان يختار الطريق المناسب للخروج من ازمته النفسية . وقبل ان يطول به الانتظار وينهكه التردد ، قرر ان يواجه مشكلته الفردية من خلال مشكلة الرأي العام الذي يحيط به ، ولم تكن هذه الاخيرة الا وجود النظام الفاطمي الذي لم يتورع بعض رجاله عن الاستعانة بالعدو الغريب على المنافس القريب ، وهكذا نظم مؤامرة محكمة ضد العهد الفاطمي بدأت خافتة سرية ثم ما لبثت ان اعلنت عن نفسها بصراحة ، لا لبس فيها ولا غموض حينما وجدت الفرصة سانحة والنفوس مهيئة ثم قام بانقلاب حاسم اسدل فيه الحجاب على عهد قائم ورفع بدلا منه عهدا جديدا له شعاراته واهدافه ومفاهيمه .

ويقول المؤرخون في تعليقهم على الانقلاب الايوبي وتغلبه على الحكم الذي سبقه :

« وما زال المذهب الاسماعيلي (الفاطمي) اخذا في الاضمحلال من الديار المصرية حتى تقلد صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة للخليفة العاضد الفاطمي سنة ٥٦٤ هـ فوجه اهتمامه بعد خلفه هذا الخليفة الى القضاء على المذهب الشيعي (الفاطمي) بمصر فانشأ مدرسة لتدريس المذهب الشافعي (السني) وعين صدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي قاضيا للقضاة في جميع انحاء الديار المصرية ، فاستعاد المذهب السني قوته واخذ المذهب الشيعي في الاختفاء تدريجيا حتى لم يبق له انصار في مصر » .

وليس هذا هو كل ما فعله صلاح الدين حتى يعفى كل اثر



للنظام السابق ، بل انه بادر فور اقالة الخليفة العاضد ، الى عزله عن الاتصال بالرأي العام بفرض الاقامة الجبرية عليه وحجزه في بيته ثم احتاط على عشرته وآل بيته ولا سيما الاقربين منهم وذوي العصبيات الظاهرة ففعل بهم مثل ما فعل بكبيرهم ، وأطلق في أثر النافذين من رجال الفكر وارباب السيف والقائمين بالدعوة في الجهات والامصار ، ثم اصدر امرا عسكريا جازما باغلاق جميع المؤسسات الفاطمية التي كانت مراكز رسمية للتوجيه العقائدي او الديني ، كدار الحكمة حيث كان يتم اعداد موظفي الدوائر الحكومية الفاطمية ، والازهر الشريف حيث كانت اروقته منابر عالية لدعاة المذهب الفاطمي وفلاسفته ، وغيرهما مما هو في حكمهما اداريا او مذهبيا .

ولم يكتف صلاح الدين بهذا القدر ، بل اصدر امرا عسكريا جازما بالحيلولة دون تسرب انصار الفاطميين الى الجيش الايوبي حتى ان هذا الحظر تناول المصريين العاديين حتى لا يتسرب عن طريقهم خصوم النظام القائم ، ثم راح يركز على اهمية الخطر من وجود الصليبيين في التراب الاسلامي ببلاد الشام . لقد كان صلاح الدين من اولئك الرجال الذين يتصرفون في حياتهم العامة بدراية وحكمة وتصميم واع لذلك نجده يقدم من الامور ما يجب ان يتقدم ويؤخر منه ما يجب ان يتاخر ، وذلك حتى تأتي النتائج منسجمة مع مخططه المدروس فلا تسبقه الاحداث وتختلط عليه الوقائع ، وحين اتيح له ان يبدي مكنون نفسه بعد ان ثبت أركانه بمصر لم يتح للنظام الفاطمي ان يسترد انفاسه تحت وطأة القرارات الجذرية التي اصدرها معلنا بها نهاية هذا النظام الذي استمر نيفا وقرنين من الزمان ابتداء من نصف رمضان ٣٥٨ هـ الى المحرم من ٥٦٧ هـ .

وبعد ، ان هذه العجالة انما اريد بها الافادة من الحديث عن كتاب « صلاح الدين الايوبي » لتقديم رأي جديد حول الدراسات التي تحوم حول شخصية هذا البطل الذي بهر الابصار بمغامراته الحربية حتى جعلها تقف عندها فلا تعدوها الاقلام تحليلا وتعليقا وتنويها .
ولعل الاستاذ قدري قلعجي يعود الينا مرة اخرى بكتاب جديد عن صلاح الدين يطوي صفحاته على الدور الذي قام به هذا الفارس المغوار في ميدان الدين والعقيدة والايمان ويبين لنا بقلمه الممتع الوجه الاخر من صورته الداخلية ، هذه الصورة التي ما تزال تنتظر من يبديها للناس على حقيقتها والتي تنطوي بتفاصيلها على كثير من مظاهر العبقرية الفكرية التي كان يتحلى بها صلاح الدين الى جانب عبقريته العسكرية .

وايا ما كان فلسوف يبقى الاستاذ قدري قلعجي على مر الزمن واحدا من اولئك المؤرخين الذين قدموا صلاح الدين الايوبي وعصره بقلم العالم المتمكن الذي احاط بموضوعه من كافة اطرافه واستطاع ان يسير مع قارئه في خلال الاحداث التاريخية المجردة ، مع استخلاص العبرة من الماضي لتحقيق الافضل في الحاضر والمستقبل ، والى جانب شخصية صلاح الدين التي لفتت الانظار الى عظمتها التاريخية فاننا نجد شخصية المؤلف الذي لفتت الانظار كذلك الى علو كعبه في صياغة مادته على اسس متينة من الدقة والحصافة والبلاغة ، مع المرونة البارعة في توجيه الموضوع نحو غايته من الدفاع عن الحق والدعوة الى الاعتقاد به .

طه الولي

•

معجم المصطلحات الحراجية

بالانكليزية والفرنسية والعربية مع تعريفاتها بالعربية ـ للامير مصطفى الشهابي ـ صفحة (؟) ـ مطبعة (؟)

لا يخامر المطالع للعلامة الجليل الامير مصطفى الشهابي شك ، في انه البقية الباقية للثروة العلمية الاصيلة التي نتفقدها اليوم ، فلا نجدها الا في اكناف هذا الرعيل من العلماء ، وعلى موائد هؤلاء الافذاذ الذين توافروا على البحث ، وسهروا لاسعاد الاجيال ، خدمة للعربية ورفعة شانها بين اللغات ..

وما ينفك المشتغلون بالتنقيب من العلماء ، الحريصون على تتبع خير العربية يكتشفون كنزا حتى يكون هناك كنز آخر ، يفيض نعمى ، ويمسح عن العقول ما ران عليها بهذا البلسم الشافي الذي يوزعه الامير مصطفى وصحبه بين الحين والحين ، ضريبة العلم ، وبغية النفع العميم ...

فالذين يعرفون العالم الجليل في سنه اليوم ، وشيخوخته التي ضربت بجرانها على جسده ، وهو ما زال يواصل هذه الابحاث ، وينشر هذه المطولات من الكتب لا يخامرهم شك في أنه يقتطع هذا المجهود الجبار من بقايا تركيبه الماضي ، وعلى حساب صحته في الحاضر .
يتحدث الامير بين يدي معجمه فيقول :

« في هذا المعجم ٩٨٧ مصطلحا بالانجليزية يقابلها أكثر من ذلك العدد في كل من الافرنسية والعربية ، ولهذه المصطلحات قصة بدأت صفحاتها منذ نحو عشر سنين .

ففي كانون الثاني « ديسمبر » سنة ١٩٥٢ ، عقد في عمان ، بدعوة من منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة (فاو) مؤتمر اشترك فيه ممثلون لدول الشرق الادنى ، فكان في جملة قرارات ذلك المؤتمر قرار يدعو المنظمة المشار اليها (ومقرها في رومة) الى العناية بوضع ترجمة عربية لمصطلحات الحراج وتعريفاتها ، على أن يتم ذلك في اتصال بين المنظمة ودوائر الحراج في البلدان العربية .

وكانت مغبة هذا القرار تكليف اربعة من المختصين بالحراج في سورية والعراق ولبنان والاردن أن يقوموا بهذا العمل ، متخذين مصطلحات الكومنولث البريطاني والجماعة البريطانية اساسا له .

وفي صيف سنة ١٩٥٥ اجتمع الاربعة الملمح اليهم في دمشق بدعوة من المنظمة فعارضوا ترجماتهم بعضها ببعض ونسقوها في خمسة أيام » .

لكن هل هذا العمل الكبير قد رضى عنه الباحث المدقق ، ومر كما يمر غيره من سائر الابحاث بأخطائه ومصطلحاته وتجاوزاته ؟

قال الامير : « عندما تصفحت نسخة مصطلحات الحراج ، وجدت بها أخطاء كثيرة جدا سواء في المصطلحات العربية أو في تعريفاتها ، فنبهت الى ذلك مدير مكتب القاهرة الاقليمي لمنظمة الاغذية والزراعة ، وذكرت له ان لمجامعنا العلمية واللغوية ، ولجامعاتنا ، وللاتحاد العلمي العربي وغيرها ، مصطلحات لا يجوز جهلها في ترجمة مثل هذا المعجم »، فاجيب الامير الى طلبه ، وقام بتصحيحات الترجمة العربية للمعجم ، وانتهت هذه القصة بصدور هذا المعجم الصغير الذي اقتضاه مدة عام كامل ، خدمة للغة الضاد ومصطلحاتها .

سار الباحث في هذا المعجم على نحو لم يعهده البحاث في المعاجم المصطلحية التي تضيق بها المكتبة العربية ، وان كانت تأخذ سمتها بين سائر الكتب النافعة : فللمصطلحات غالبا تعريفات علمية موجزة ، لا تسعف الواضع او الناقل او المترجم بما يشاؤه من المقابل او النضاد .. فيتحتم عليه أن يسير في عسر مصطلحي ، وضيق مادي ، وبخاصة، اذا وجد امامه جملا غامضة تحتاج الى اجلاء او ايضاح ، ليحمد عمله، ويؤديه على وجه يرضى هو عنه ، قبل ان يرضى أبناء العربية ..

والعمل في معجم المصطلحات الحراجية ، يسير على نهج يخالف نهج المعاجم وان اشترك معها في خطة العمل وغاية المقصد وشرف الاتجاه ، فالترجمة الفرنسية لهذا المعجم التي نقل عنها الباحث دقيقة الوضع ، مختارة اللفظ في البناء ، وهي التي أعانت الباحث على ان

يمضي بهذا العمل الكبير في نحو عام ، الا أن الغموض التي اكتنف بعض عباراتها ، حتى ان المترجم كان يضطر احيانا كثيرة الى ان يعمل عقله ، حتى تأتي هذه العبارات غير نابية ، او مخالفة لما عليه أصل العبارة في وضعها الاصلي الذي صيغت له .

ولقد عمد الباحث القدير الى الحفاظ على سلامة الاصل بالشرح المزدوج ، مع عدم الخروج به الى غير ما يأنس او يحب ، وان كان في أحيان كثيرة يتجاوز عن هذا الاصل بتفصيلات قليلة هي اجدر وأقمن بكتب الحراجة .

والذي يلفت النظر في هذا المعجم ، تقييد الباحث بالقرارات العلمية التي اتخذت في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في قياسية عدد من الاوزان والجموع ، واجتهاده في كثير من الالفاظ مما شاع على ألسنة كثير من الادباء في الوطن العربي الكبير .

والضرورات العلمية كثيرا ما تبيح ما لا يباح ، وتسيغ ما لا يستساغ ، والامثلة اكثر من ان تحصى ، فبرعم من البرعم ، وأقالم من الاقاليم ، وحرج من الحرجة ..

والواقع ان المشتقات من أسماء الاعيان عند القدماء تعد بالمئات ، وقرارات تضمين الالفاظ اللغوية معاني اصطلاحية ، وقرارات الاشتقاقات ، واجازة النسبة الى جمع التكسير عند الحاجة اليها ، كبرت من الكبريت في أسماءالاعيان ، وشجر بمعنى غرس في التضمين ، والغراسة من غرس في الاشتقاق . والدولي غير الدولي في النسبة .

وتسمية هذا المعجم بمعجم المصطلحات الحراجية نسبته الى الحراج او الى الحراجة ، فيه عدول عن أصل اللفظ وأصل النسبة على السواء .. اذ المعروف أن الاصل : حرج ، والنسبة حراجة التي عدل عنها الباحث غير معلل لهذا العدول الذي آثره وفضله على الاصل والنسبة .

أما المصطلحات نفسها وتعريفاتها ، فقد نسبها الباحث ، اما الى الحرجة او الى الحراج او الى الحراجة على حسب المنسوب اليه في الجملة ، وان غفل كذلك عن العلة ، وتناسى شرح وجهة نظره ، متعللا بأن الكوفيين اجازوا النسبة الى الجمع على لفظه مطلقا ، وهذا ما جرى عليه المجمع اللغوي في اصدار قراره .

وليس شك في ان قرار المجمعيين الذين اجتهدوا هذا الاجتهاد ، ووضعوا هذه القرارات ليس بملزم لنا ، وبخاصة وهم من الاناسي ، يجري عليهم ما يجري على سائر العلماء من الخطأ والصواب ، والصحة والمرض ، وسائر الاعراض التي تلم ببني البشر علماء وغير علماء ..

على ان تواضع الامير الباحث ، جعله يلتزم في كتابه بقرارات هو في غنى عنها ، ولا سيما اذا عرفنا تمكنه من ادواته التي يعايشها اكثر من نصف قرن على أقل التقادير ، وأبسط قواعد حساب الثروات العلمية في متوسط الاعمار .. ورجل هذه كتبه ومعاجمه وبحوثه ، لا أنتظر منه كغيري ان يدلني على اجازة جمع الصفة التي تكون على وزن فعلاء بالألف والتاء ، عندما تنزل منزل الاسم ، مثل خضروات ، وشجراوات كما أجاز ذلك المجمع في اجتماعه الذي اجتهد فيه حتى علمنا ما لم نكن نعلم . !!

وقد استعمل الباحث الفاضل كلمة حرجة لا غابة ، كما استعملها الاديب القبطي الكبير ابن مماتي في مصر زمن الايوبيين ، وظلت هذه الكلمة تجري على الالسنة حتى في زمن المماليك وفي قوانين الدولة العثمانية ، وقوانين الاقطار العربية بعد ما انفصلت عنها .

والمدقق لهذا النهج من الاختيار والتفضيل والايثار الذي عرضه الباحث ، لا يسعه الا ان يقف بجانبه ويشد على يديه ، وبخاصة اذا عرفنا ان لفظ « غابة » يطلق على كثير من المسميات ، بخلاف لفظ حرجة ، فلا ينسب الا على هذا الذي قصده الباحث ، ونسج معجمه عليه.

وتقع التبعة كل التبعة على الامير الجليل ، وهو يتواضع هذا التواضع الذي يضطره احيانا الى التخلي عن مكانته في عالم اللغة ، وميدان البحوث ، فهو يعتمد دائما على معاجمه ، ويسير وفق مخطط بحثي وضعه لنفسه ، يعرفه به كل من يطالعه ، وبخاصة في « معجم الالفاظ الزراعية والمصطلحات العلمية في اللغة العربية » وقانونه الذي التزم به والزم به كتاب مجلة المجمع ، وهو عدم تبني المصطلحات التي ينشرها ، خوف ان يعارض بعضها ما يستقر عليه الرأي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وهنا يسمح لي الباحث الفاضل بالسؤال او التساؤل .. وهل اذا تعارضت هذه المصطلحات مع المنطق او الذوق او اللغة او الاجتهاد الفردي ، أيكون الرأي للمجمع كذلك ؟

أعتقد ان هذا الالتزام شيء غير ضروري لأي باحث ، وما دام الاجتهاد في اللغة يعتمد على الذوق .. فكل عالم حر في ان يسيغ ما يسيغه المجمع ، او يرفض ما استقر الرأي عليه فيه ، اما ان آخذ هذه القرارات اللغوية دون مناقشة حتى ولو لم توافقني فهذا ما لا يرضاه الامير الجليل لي ولا لغيري من الذين يعيشون على هذه البحوث، ويقتاتون من وراء هذه الصناعة !!

والجهد المبذول في هذا الكتاب ، لا يقل بحال عن الجهود التي بذلها الباحث في كتبه الكثيرة السابقة ، ان لم يفقها صعوبة وشدة ، فوضع فهرس عربي وآخر فرنسي للمصطلحات العربية والفرنسية وترتيب هذه المصطلحات على حروف المعجم وترقيمها ، كل هذا جهد لا يضطلع به الا هذا العالم الثبت الحجة . اما التسامح العلمي فيظهر جليا في التماس العذر للذين ترجموا هذه المصطلحات وعرفوها : « اذ معرفة العلوم الحراجية شيء ، ومعرفة مصطلحاتها شيء آخر . وما برح معظم علمائنا بالعلوم الزراعية وفروعها يغلطون كثيرا في مصطلحات مؤلفاتهم وما برح الاساتيذ في مختلف العلوم الحديثة يستعملون مصطلحات عربية مختلفة للمعنى الواحد ، حتى أصبح ذلك داء من أدواء لغتنا لا يشفيها منه الا توحيد أهم المصطلحات في معجم كبير

انكليزي – افرنسي – عربي » .

اما المادة التي اشتمل عليها المعجم ، فلا يغني فيهـــا مساق بضعة ألفاظ والعمل الذي جرى فيها والنحو الذي اتبعه الباحث في صياغتها وترتيبها وتبويبها ، بل يغني الغناء كله أن يكون هذا الكتاب على راس مكتبة كل اديب ، وقاموس كل باحث ، وري كل صاد الى العلم والمعرفة .

القاهرة **ابو طالب زيان**

•

ايـــــوب

مسرحية – تاليف ميخائيل نعيمة – صفحة (؟) – مطبعة (؟)

حفلت حياة أديبنا ميخائيل بالانتاج المثمر المتنوع في عالم الفن القولي . فقد كتب الشعر والمقالة والقصة المسرحية والنقد . واذا كان قد أقلع عن الشعر بعد فترة معينة من عمره فانه بقي مواصلا انتاجه في بقية الفنون الادبية الاخرى . فيمكن للقاريء ان يقرأ لــه كتبا في النقد الادبي والترجمة الذاتية وغير الذاتية ، ومقالات اجتماعية وفكريـــة وتاملية وذاتية ، وكذلك الامر بالنسبة للقصة فقد تناولها بالمعالجة ونوع في موضوعاتها . بالاضافة الى ذلك فانه لم يهمل شان المسرحية فكتب مسرحيته الاجتماعية « الآباء والبنون » منذ فترة طويلة . ولكـن قلمه ما زال كريما معطاء ، أمد الله في عمره ومنحه المزيد من القـوة لمزاولة نشاطه .

وها هو الان يطالعنا بمسرحية جديدة عنوانها « أيوب » وكـان الظروف التي نعيشها والمحن التي تحيق بنا لا بد ان تذكرنا بجد من اجدادنا اشتهر بالصبر ، لا سيما وان قضية التضجر من المصائب ، والكفر بالله تعالى أو وصفه بصفات لا تتناسب مع ذاته ، قد كثرت وانتشرت في هذه الايام .

ومن حق ميخائيل في هذه المرحلة من حياته ان يتناول مثل هذه الفكرة بالعرض الفني . ولقد كان عرض لها كثيرا في مجالات انتاجه المختلفة الا انه الآن يعطينا اياها واضحة سافرة في مسرحيته الجديدة ، وليس بشكل موجز عابر كما في السابق .

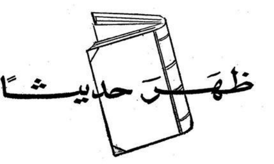
وليس غريبا الا يعمد الان أديبنا الى كتابة مسرحية اجتماعية او سياسية او عاطفية . فقد عالج من مشكلاتنا الاجتماعية في انتاجه السابق على تنوعه ما فيه الكفاية . وليس ميخائيل من هواة السياسة حتى يقحم نفسه بين شظاياها في اشد ظروفها تعقيدا واضطرابا . وليس ممن يعالجون المسرحيات والقصص التي تتناول القضايا العاطفية . ولو فتشنا عن حقيقته لوجدناه فيلسوفا صوفيا متاملا انسانـــي النزعة والشعور ، فهل من مانع اذا كتب مسرحيته في نطاق ما هو فيه ؟ وهل يتعذر على المسرحية ان تعالج مثل هذا الموضوع ؟ وهل وفق الكاتب في توفير امكانية الاخراج لهذه المسرحية التاملية الفكرية ؟ وهل ستحقق لها التاثير اللازم في نفوس النظارة ؟ .

الواقع ان معالجة موضوع كهذا في اطار المسرحية ليس بالامر السهل ، وهو يحتاج الى ان يكون الكاتب قد استوعب الفكرة تماما واتضحت في ذهنه جميع خطوطها . وقد توفر لميخائيل من هذا الشرط اذ انه اشبع الفكرة تمحيصا في أيامه الماضية وأنتاجه السابق . ولكن مهما قيل بشان نجاحه في معالجة الفكرة فان مسرحيته تبقى وقفا على الطبقة المثقفة ، بل حتى على فئة معينة من المثقفين الذين يحبون هـذا النوع من التامل ، وسوف تعزف عنها دون ريب ، الاغلبية الساحقة من الناس . واظن ان اديبنا لن تهمه هذه النتيجة ، بل انه يعرفها سلفا قبل ان يباشر كتابة مسرحيته . واذا فبامكان المسرحية ان تطرق مثل هذه الموضوعات ، ولكن جمهورها سيكون قليلا مهما وفق الكاتب فـي عرضهـا .

واما السؤال الثاني المتعلق بامكانية الاخراج ، فالحقيقة ان مؤلفنا كان ماهرا حقا اذ تمسك بالاصول الفنية في مسرحيته ومنحها امكانية واسعة للاخراج . فالموضوع لديه يتلخص في هذه الفكرة ، (لماذا يبتلي الله اناسا لم يرتكبوا ذنبا في حياتهم ؟) وهي فكرة مستقاة من الاسفار القديمة كما يصرح بذلك في مقدمته للمسرحية . وقد عرضها بواسطة شخصية اساسية هي شخصية أيوب ، وشخصيات اخرى ثانوية او مساعدة وبعضها يمكن ان يصل الى درجة المعارضة مثل الزوجة (زليخة) زوجة ايوب . أما المساعدون على توضيح الفكـرة او تثبيتها فهـم (سرجبيل) الحائك صديق أيوب و (تليدة) ابنته ، والارباب الثلاثة. ولم يحافظ ميخائيل على الاشخاص التاريخيين بل أوجد بعضا منهم ايجادا ، وحور في ادوار البعض الآخر وملامحه .

وقد منح الله أيوب مالا وعزا وبنين وبنات وحياة هنيئة لم يسيء اليها هذا الانسان المرضي باي تصرف خاطيء . ولكن فجاة تذهــب الاموال ويهلك الابناء بقضاء من الله الذي أراد ان يمتحن عبده . ويبقى أيوب مؤمنا صابرا رغم ما ينال غيره من شك واضطراب . ثم يبتلى ببلية اخرى ادهى من الاولى ، وهي القروح التي تغطي جسـده بحيث يصبح غير قادر على الحراك ، ولا يستطيع أي انسان الاقتراب منه . ولكنه كذلك يبقى صابرا مدافعا عن ايمانه العميق ورباطـة جاشه وثقته بالله . وحينئذ يكشف الله الغمة وينتشله من البـلاء الجسدي والبلاء العائلي والمادي الذي أوقعه فيه .

وقد عرضت هذه الافكار خلال اربعة فصول ، وفي فترة زمنية قصيرة معقولة . فنحن لا نرى ايوب الا وهو في أوج غناه ونعيمه ، ثم تأخذ الاحداث بالتطور السريع . واما المكان فليس واحدا ، اذ نجد الفصل الاول يعرض في بيت أيوب ، والثانـــي في بيت الحائـك ،



● الواقعية في الادب ـ تاليف عباس خضر ـ ٢١٠ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٥ في سلسلة الكتب الحديثة ـ منشورات مديرية الثقافة العامة بوزارة الثقافة والإرشاد العراقية ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد.

● شعراء الواحدة ـ تاليف نعمان ماهر الكنعاني ـ تقديم عبد الوهاب الامين ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٦ في سلسلة الكتب الحديثة ـ منشورات مديرية الثقافة العامة بوزارة الثقافة والارشاد العراقية ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● امارة الشارقة ـ تاليف محمود بهجت سنان ـ ١١٠ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٥ في السلسلة السياسية ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الارتياد والكشف الجغرافي ـ تأليف الدكتور هـ.ج. وود ـ ترجمة الدكتور شاكر خصباك ـ ٢٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حكايات من بلدتنا ـ مجموعة قصص ـ تأليف الدكتور شاكر خصباك ـ ١٣٢ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الروض ـ مجموعة شعرية ـ الجزء الخامس من العدنانيات ـ محمد العدناني ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ المطبعة العصرية في صيدا وبيروت .

● الدفاع المدني : بحث علمي في الملاجيء والتدابير الهندسية ـ تأليف المهندس محمود شوقي الحمداني ـ تقديم العميد يونس حسين عبد الرحمن مدير الدفاع المدني العام ـ ١٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة السعدون ببغداد .

● نظرات في الموسيقى والمسرح ـ تأليف محمد عبد العزيز العقربي ـ الكتاب ٣ في سلسلة الكتاب الليبي ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب ـ مطابع وزارة الاعلام والثقافة في طرابلس بليبيا .

● تنمية الكفاءات التربوية او تدريب المعلمين اثناء الخدمة ـ تأليف الدكتور عبد القادر يوسف ـ ٢٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تاريخ العرب في اسبانيا : عصر المنصور الاندلسي ـ تأليف الدكتور خالد الصوفي ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطابع دار الغد (؟)

● مشروع ادريس للاسكان : دراسة وعرض للمشاريع الانمائية في ليبيا ـ تأليف محمد عنان ـ ٢٠٤ صفحة ـ مع لوحات وصور ـ حجم كبير ـ منشورات دار بيروت في بيروت ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● القرنان السادس عشر والسابع عشر ـ المجلد ٤ من موسوعة تاريخ الحضارات العامة ـ تأليف رولان موسنييه استاذ في السوربون ـ ترجمة يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر ـ ٧٧٠صفحة ـ حجم موسوعي مجلد ـ منشورات عويدات بيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت

● تاريخ الرواية الحديثة ـ تأليف ر.م. البيريس ـ ترجمة جورج سالم ـ ٤٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مكتبة الفكر الجامعي ـ منشورات عويدات بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● جغرافية العالم الاجتماعية ـ تأليف بيار جورج استاذ في السوربون ـ ترجمة فايز كم نقش ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● الادارة ـ تأليف برنار غورنيه ـ ترجمة الاب مارون خوري ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات عويدات بيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● انا والفرات ـ تأليف عبد القادر عياش ـ القسم الاول ـ ٧٤ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة السليمية بدير الزور في سورية .

● قصة الارض والفلاح والاصلاح الزراعي في الوطن العربي ـ تأليف عبد الرزاق الهلالي ـ ٦٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلد ـ منشورات دار الكشاف للطباعة والتوزيع في بيروت والقاهرة وبغداد ـ مطابع دار الكشاف ببيروت .

والثالث في الصحراء العارية حيث أصيب ايوب بالقروح ، والفصل الاخير نعود فيه الى بيت الحائك سرحبيل . ذلك بالاضافة الى مشهد الحلم الذي رآه سرحبيل والذي يعرض على المسرح خلال الفصل الثاني ، لان له صلة قوية بما حدث لايوب فيما بعد . ولقد تطورت الفكرة وتأزمت العقدة الى درجة كبيرة لا سيما حين بلي أيوب بالقروح ، واصيبت ابنته بما يشبه الجنون . ولم تفرج هذه العقدة الا في اللحظات الاخيرة .

وكان رسم الشخصيات دقيقا اعطانا صورة واضحة لهم من الناحية الفكرية التاملية ، وهي الناحية التي تهم الكاتب . ولذا لم يات الحوار قصيرا وان اتى موفقا . اذ انى للفكرة التاملية ان يعبر عنها بعبارات قصيرة وحوار سريع ؟! .

والواقع ان الاسس الفنية للمسرحية لا تهمنا الا بقدر ما تساعدنا على الاخراج والتاثير . واظن ان ما لمحناه من تركيز في عناصر المسرحية قادر الى حد كبير على جعلها تمثل وبكل سهولة على خشبة المسرح .

اما امكانية تاثيرها في نفوس النظارة ، فقد اشرت الى ذلك سلفا حين قلت بانها لن تلقى قبولا الا من قبل فئة محدودة . وذلك يعني ان هذه الفئة ستتاثر بها اشد التاثير اذا ما اتيح لها المخرجون والممثلون المهرة . اما الطبقة الشعبية السطحية التفكير فسوف تفهمها فهما جانبيا وجزئيا ان لم يكن خاطئا .

ولا بد من ملاحظة اخيرة وهي ان الذي قرأ كثيرا لميخائيل سوف يلمح صورته المتاملة في كلام اكبر عدد من شخصيات المسرحية . فآراؤه الفلسفية تجلت على لسان أيوب وسرحبيل والارباب الثلاثة وعلى لسان ابنة أيوب تليدة . كل ذلك عرض باسلوب المؤلف المعروف بسهولته وامتناعه . فلا صعوبة في العرض ولا غرابة في التعبير رغم صعوبة الفكرة وعمقها .

وبذلك يكون ميخائيل قد فتح بابا جديدا في هيكل الفن المسرحي العربي ، وأطل منه على عالم التأمل والتصوف والتفكير العميق المجرد ، ولم يتركه مقتصرا على الشؤون الاجتماعية والسياسية والعاطفية . ولقد حاول توفيق الحكيم السير في هذا السبيل قبله ، ولكن مسرحياته كانت مختلفة عن هذه بعض الشيء ، وجاءت في الفترة الاولى من انتاجه المسرحي فاعترف هو بتعذر اخراجها على المسرح وأسماها بالمسرح الذهني . أما هذه المسرحية فانها فكرية فلسفية تاملية قابلة للاخراج والتمثيل والتاثير .

دمشق

لطفية الشهابي

جولة الأديب في شهر

البيـــــر اديـــب

ربع قرن من حياة الادب والفكر والثقافة

هذا المقال عن الاستاذ البير اديب صاحب مجلة الاديب كتبه الاستاذ الشيخ طه الولي سكرتير جمعية المكتبات اللبنانية وخريج الازهر الشريف وكلية الحقوق في الجامعة اليسوعية ببيروت ، لمناسبة الاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاما على صدور مجلة الاديب .

البير أديب ، الكاتب ، الناثر ، الشاعر ، صاحب المجلة الادبية الاولى في العالم العربي من مرمى الموج على الشاطىء الغربي من المغرب الى ملتقى النهرين في شط العرب من المشرق .

وصاحب الصفحات المشرقة التي طالما ارتاحت العيون لقراءتها شهرا في اثر شهر ، وهي تحمل على متنها وبين دفتيها روائع الموضوعات لاعلام الكتاب بين طرفي دنيا العرب في كل فن من فنون اللغة والعلم والتاريخ وغير ذلك من الوان الثقافة والشعر والتحقيق .

البير اديب هو نفسه موضوع كلمتي هذه ، وهو نفسه عنوان لها ، وهو نفسه كذلك غايتها وخلاصة القول فيها .

فانا قد اخترته ليكون وسيلتي الناصعة ، للتعبير عن ايماني الاكيد بأن الكلم الطيب والعمل الصالح والجهد المخلص ، كل اولئك ، طال الوقت ام قصر ، اثر خالد لمن يصدر عنهم . وخليق بمن تتوفر فيه هذه الاقانيم الثلاثة من اسباب النجاح والفلاح ان يكون بين قومه حيث يتواتر له حمدهم ويتضاعف ثناؤهم وتتقاصر عن النيل منهنزوات الحقد او تطاله عوامل الجحود والعفاء .

لقد اصبح اسم البير اديب بالفعل دولة بين اقلام الكتاب العرب وغيرهم من المعنيين بالاقبال على الادب العربي من كل جنس ومن كل لون طوال ربع قرن من عمر الدهر المديد ، وليس بين هؤلاء واولئك من لم يغمس ريشته بالكتابة اليه او يرسل شباة قلمه بالكتابة عنه ، سواء في مقالة ادبية افرغ فيها فكره او رسالة شخصية ازجى عبر سطورها حبه ، حتى اصبح صاحب مجلة « الاديب » او كاد ، محورا يدور حول قطبه نشاط اهل الادب الذين وجدوا في ذاته ورحاب دوريته منطلقا يصدرون عنه فيما يقدمونه للقارىء الثقيف من عصارة اذهانهم او خلاصة دراساتهم ولا يكاد واحد من الذين عرفتهم محافل العلم وندوات المعرفة في اقطار العروبة ، قاصيها ودانيها ، الا وقد اتخذ من مجلة « الاديب » منبرا مستشرقا يرقى سنامه العالي للادلاء بما عنده من الوان الثقافة وفنونها ، ثم يكون على مثل اليقين بان هذا المنبر العالي ، هو المكان الافضل والاكرم ، للاتصال بسدنة الكلام الجيد والمعنى الجميل والمادة الغزيرة والمنطق الرصين ما بين نثر اللغة العربية وشعرها .

فلقد استطاع البير اديب ان يجعل من مجلته « الاديب » ندوة دورية تنعقد على صفحاتها الانيقة الوية زاهية متشحة بافكار النخبة من رواد الكتابة المحكمة في اللغة العربية مضفورة باكاليل التفوق والامتياز تحت عناوين الموضوعات الشيقة التي تعتبر عن جدارة واستحقاق ، مادة الادب المعاصر في العالم العربي من اقصاه الىاقصاه.

وعلى الرغم من ان الصحافة الادبية في دنيا العرب قد استدرجتها ، من هنا وهناك ، اهواء السياسات المتناقضة الى مزالقها الملتوية ، طائعة تارة وراغمة تارة ثانية ، فان مجلة « الاديب » حصنت نفسها بعصمالالتزام العلمي المجرد وبقيت محافظة على سمعتها الفكرية الذي رسمته شخصية صاحبها الفذة ، واستطاعت ان تتجافى عن هذه المزالق بحذر وتؤدة ويقظة ، واستمرت آخذة نفسها بعيدة عن كل ما يبعدها عن رسالتها الادبية لتبقى من دفتها الى دفتها ، خالصة من شوائب النزعات السياسية والشخصية والحزبية من اي لون ومن اي اتجاه . ولقد اتاح لها هذا النهج السليم ان تحيط نفسها بسياج مكين من التقدير والاحترام لدى مختلف الفرقاء ما بين شاخص الى اليسار او جامح الى اليمين حتى تيسر لها ، عن طريق الرفق والاناة الوصول الى غايتها من اشاعة الجهد الادبي الصرف ، واحتماله دون حرج ولا ضيق ، الى كل زاوية من زوايا البلاد العربية ليكون في متناول اكبر عدد من الادباء والمتأدبين من قراء لغة القرآن الكريم .

واذ يتداعى سدنة الكلمة العربية المختارة الى اداء قسطهم من واجب الوفاء نحو الرجل الذي جعل مجلة « الاديب » حرما آمنا لهذه الكلمة في نثرها المتأنق الطليق وشعرها المتفتح الموزون ، اذ يتداعى هؤلاء الكرام من اهل الفكر والعلم والثقافة الرفيعة ، فاني اهتبل هذه الفرصة لاجعل قلمي المتواضع في موكبهم واضم نفسي الى رعيلهم لعلني اشاطرهم نشوة الفخر باداء هذا الحق الذي وجب لصاحب « الاديب » في عنق محبيه وقادري فضله من الذين وردوا منهله العذب مطلع كل شهر طوال خمسة وعشرين عاما دون ان يتأخر عنهم يوما او يحجب دونهم عددا ، حتى لكأن « أديبه » على موعد مع دورة الزمن شهرا بشهر ، فهو جزء من هذا الفلك الدوار الذي لا يخطىء الناس في ليل ولا نهار .

ان دعوة الضمير الادبي التي انطلقت لتكريم البير اديب بمناسبة ربع القرن الذي تعاقبت سنوه على ظهور مجلته « الاديب » متواترة متوالية منتظمة ، ان هذه الدعوة قد جاءت وكانها على ميعاد معالجاهلية الخلقية التي أنشبت نقائصها في تقاليد المجتمع العربي هذه الايام ، وعملت فيه تحطيما وتشويها حتى غيبت منه ذلك الوجه القديم الذي كان يتحلى بوشائج القربى بين اهل الوسط المشترك ، لا سيما حينما يكون هؤلاء حملة مشاعل الثقافة والمعرفة في بلدهم .

لقد ادركنا من بني قومنا طائفة من العلماء تخضرموا بين اواخر القرن الماضي واوائل القرن الذي نحن فيه فوجدناهم على مثل قلب رجل واحد في تبادل الاحترام والمودة والتواصل ، يتعاقرون فيما بينهم اصائل المناقب الحميدة ، وقد تنزهت اقلامهم عن التنابذ بالالقابوعفت السنتهم عن التصدي للسباب واذا فرقتافكارهم الخاصة وجهة نظرهم في مناكب الموضوعات التي يتناولونها بالدرس والتمحيص والتحقيق ، جمعهم لواء العلم على اعطاء كل ذي حق منهم حقه بالفضل وحرصوا على ان يحصروا خصوماتهم الفكرية في حدود المناظرة المهذبة والمناقشة الهادئة دون ان يستفزهم الاعتداد بالرأي الى بخس بعضهم بعضا في مكانتهم او كرامتهم .

بيد ان هذا الجيل من الناس مالت شمس وجوده الى افق المغيب ، ولم يبق منه الا بقايا معدودة هي اقرب الى التذكاراتالآفلة منها الى الوقائع الحالة واصبحنا في خلف كأن الشاعر العربي عناهم حينما قال :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم   وبقيت في خلف كجلد الاجرب

الى ان كانت بادرة التكريم التي ارتفعت بها عقائر المنادينبشعائر الوفاء لمجلة « الاديب » وصاحبها فاضاءت نفوسنا بشعاع الامل في انه

ما يزال في السويداء رجال تجري في صدورهم دماء النخوات القديمة، وتعتلج في اعطافهم شمائل المروءات العريقة ، فقلنا حمدا لله وشكرا، وذكرنا قول النبي العربي الكريم صلوات الله عليه :

« ما يزال الخير في وفي امتي الى يوم القيامة »

وهكذا فانه من خلال الاستاذ البير اديب ومجلته الرائدة شق الامل وميضه المضيء بأن :

« من يصنع الخير لا يعدم جوائز لا يذهب العرف بين الله والناس»

وادركنا بان الليالي التي سهرها هذا العصامي الفريد ، من غير ان تغفل عيناه حماهما الله ، على مجلته ورسالته قد انبلج صبحها المشرق عن دعوة الوفاء له ، والاعتراف بجهوده ، واتخاذه نبراسا يسير بنوره العاملون من اجل العربية وخلودها تحت كل سماء وفوق كل ارض .

لقد عاشت « الاديب » خمسة وعشرين عاما ، وهي تخفق باجنحة المعرفة الناضجة والاخراج الكامل والعقل الموهوب .. متنقلة ابدا فوق القمم ، محتفظة برزانتها ومقامها واثرها ، دون ان تكبو بانطلاقتها الوثابة الازمات العابرة ، وهي ازمات كان بعضها مما ينوء به العصبة اولو القوة من الرجال .

وكانت « الاديب » عبر هذا الزمن المديد ، حافزا مباشرا وغير مباشر لظهور العديد من المجلات الادبية ، لا سيما ببيروت ، وهي مجلات اتخذت من « الاديب » وصاحبها المؤسس ، نموذجا تتأساه لارضاء ذوق القارىء العربي واشباع نهمه الى الثقافة المتنوعة والجذابة والمفيدة .

وفوق هذا وذاك فان « الاديب » قد استحالت في نظر كتابها وقرائها رابطة فكرية تشد بعضهم الى بعض ، بصلة من رحم الادب فاصبحوا بفضلها وكأنهم ابناء عائلة واحدة تتوزعهم اقطار العروبة ما بين مشرقها ومغربها ، الا انهم يتلاقون الواحد مع الاخر على متون صفحاتها الغراء ، من خلال ما يتبادلونه من الرسائل الاخوانية ، حتى اذا سنحت الفرص المناسبة وقدموا الى بيروت لشأن او لاخر ، دلفوا بذواتهم الى « دار الاديب » في محلة رأس النبع ، لينعموا بعدالرهق، برغد الانس جنبا الى جنب ، متقابلين على ارائك صاحب الدار الذي يجمعهم نظامه الرفيق على لطفه الذي لا مزيد عليه ويتحفهم بادبه الذي لا تشد الرحال الا اليه .

فانعم « بالاديب » مجلة رائدة ، كملت مادتها وجملت ادواتها ، وانعم بالبير اديب استاذا وصديقا وحبيبا ، وانعم بالساعين الى الوفاء للجميل ، اسوة حسنة للذين يحبون ، بتكريمهم « للاديب » صاحبها المؤسس ، ان يقدموا لاهل الحجى من سدنة الفكر وارباب النهى حاملي الاقلام المشرعة في خدمة التراث الثقافي للامة العربية ، ماضيها وحاضرها ، ان يقولوا لهؤلاء تفسيرا عمليا لقول الله عز وجل في محكم ايه الكريم :

« هل جزاء الاحسان الا الاحسان »

اما بعد ، فلست في هذه العجالة ، ممن يطمعون باداء ما للاستاذ « البير اديب » من حقوق متراكمة في ذمم الوفاء ، ولكنها كلمات جاشت معانيها في النفس فاطلقتها من شباة قلبي المتواضع ، لعلي اجد مكانا يجمعني مع النفر الكرام الذين كان لهم فضل السبق الى اداء قسطهم من هذه الحقوق .

على انني اختم هذه الكلمات بالدعاء الى الله عز وجل ان يكلأ الصديق الابر بنعمة الصحة الوافرة وان يبارك له في عمره ، ليبقى ممسكا بيراعه وبيانه وجنانه ، رسالة الادب في مجلته الزاهرة « الاديب » لتبقى في ميدان كفاحها عروة وثقى تشد بين دفتيها القيم الادبية والمناقب العلمية ، الى قاعدة متينة من الانطلاق الذهني الذي يأخذ الامم في دروب الحضارة المزدهرة والخلود الاثيل .

جريدة « الراصد » بيروت — طه الولي

•

تكريم « الاديب » واللجنة الفاشلة

للمجلات الادبية العريقة فضل على تقدم الادب وبلورة تياراته . ولمجلة « الاديب » ـ وقد مضى على ظهورها خمس وعشرون سنة ـ فضل عميم وكبير على تنقية التيارات القصصية والشعرية والفلسفية .. من كل الشوائب ، ودعم اسسها ، واظهارها في الوجهة الامامية بالنسبة التيارات العالمية بفضل المستعربين والمستشرقين الذين دبجوا فيها مقالات عميمة الفوائد كشفوا فيها عن كنوز الادب العربي القديم .

واقرارا بذاك الفضل ، وعرفانا بجميل يرد الى صاحبها ، قام فريق من ادباء هذا البلد ـ منذ عام ، اي والمجلة على عتبة اليوبيل الفضي ـ بتأسيس لجنة تعمل على تكريم « الاديب » وصاحب « الاديب »، اسوة بالتكريم الذي صار لكل اديب نذر نفسه في خدمة الضاد والتعريف بتراثها الفني بالامجاد في البلدان التي هتفت وتهتف لكل مجد ادبي.

وفي بعض الاقطار العربية تجاوب الادباء مع « اجنة تكريم الاديب» فعملوا ، في بحر العام المنصرم ، على تكريم مجلتهم الاولى حسب امكانياتهم . فاستحقوا شكر من يقدس الحرف البناء .

خارج الحدود كان للمجلة ـ المدرسة تكريم . وعندنا ، وبعد دخول « الاديب » عامها السادس والعشرين ، فشلت اللجنة بوعدها ، رغم الاجتماعات التي كانت تعقد ، دوريا ، في منازل اعضائها .. وانطوت صفحة مجيدة من حياتنا الادبية .

غيرنا تفانى في خدمة « الاديب » ، واضاء لها الشموع لتستمر في تأدية الرسالة النيرة . ونحن فشلنا فحصدنا الشماتة ، وسقطنا في هوة النسيان . والتاريخ سينظر الينا بمنظار الاستخفاف ، ويلعن التجمعات التي بحثت خلالها انواع التكريم .

وعلى كل فستظل مجلة « الاديب » .. كما كانت منذ بزوغ فجرها، تحمل مشعل الادب . فمن اجل سؤدد الجملة المبدعة عمل البير اديب صاحبها . وفي سبيل انتشارها في سائر امصار الضاد سهر . وحتى تتركز بين الجمل العالمية رحب بابحاث المستعربين والمستشرقين تنبش كنوز ادبنا الاصيل .. وبكلمة انه نذر نفسه ، وقدم ما ادخر من مال، في سبيل اصالة الادب العربي .

لقد فشلت اللجنة لان تركيبها كان هزيلا . وانتصرت معنويات المجلة بمؤازرة الكتاب العرب المخلصين . فقضيتها ، منذ البدء، ادبية بحتة . ونبراسها لن ينطفىء ما دام شعار منشئها المحافظة على القضية التراث .

مجلة «الجمهور الجديد» ـ بيروت — ابراهيم عبده الخوري